الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic Of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry Of Higher Education And Scientific Research

جامعة أبو بكر بلقايد * تلمسان*
كلية الآداب و اللغات
قسم الفنون

UNIVERSITY ABOU BEKR BELKAID - TLEMCEN
Faculty Of Letters And Languages
Department of Arts

الشعبة: فنون بصرية
التخصص: فنون تشكيلية
مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ل.م.د
الموسومة ب:

الخصائص الفنية للنقش على النحاس
محمد بن قلفاط أنموذجا

إعداد الطالبة:
مصابحي شيرازسناء

تحت إشراف:
د . شيخي محمد عبد الجليل

لجنة المناقشة:

د. سعيدي محمد	جامعة تلمسان	رئيسا
د. شيخي محمد عبد الجليل	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. تاجوري عبد الإله	جامعة تلمسان	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023م

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بفضل الله تعالى وحده، ومنّته وكرمه، أتممتُ مشواري الدراسي، ونلتُ شرف التخرج.

أسأل الله تعالى أن ينفعني بما علّمتُ، وأن يجعلهُ خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعلهُ نافعًا للأمة الإسلامي

أودّ أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى من ساهم في إنجاز هذه الرسالة العلمية، بدءًا من:

- **أمي الحبيبة:**

أنتِ النور الذي أضاء دربي، والسند الذي أعانني في كل خطوة، لم تبخلي عليّ بدعمكِ وحنانكِ، شكرًا لكِ على كل ما قدمتيه لي، فأنتِ أجدر من يستحق الشكر والتقدير.

- **نفسي:**

أشكر نفسي التي قاومت الصعاب، وتحدّت الظروف، واجتهدت حتى وصلت إلى هدفها. لقد تعلمتُ من خلال هذه الرحلة المثابرة والصبر والعزيمة، ولن أنسى أبدًا هذه الدروس القيّمة.

- **أخي وزميلي أمير ضياء الدّين:**

شكرًا لكِ على فضلكِ الكبير في مساري الجامعي، وخاصّة في إعداد هذه المذكرة. لقد كنتَ كريمًا معي، ولم تبخل عليّ بمعلومة أو جهد أو وقت.

- **الأستاذ سعيدي محمد رئيس قسم الفنون:**

أشكر دعمه وحرصه الدائم على توفير كل ما يحتاجه طالب الفنون بشكل عام. وأشكرُهُ بشكل خاص على تسهيله لاحتياجاتي العلمية ودعمه وحرصه على نجاحي وتميزي.

- **الحرفي دالي علي اسماعيل:**

شكرًا على فتحه أبواب ورشته لنا وكرمه. لم يبخل بمعلومة وتشجيعه لنا.

- **الدكتور شيخي عبد الجليل:**

أشكر مشرفي وموجهي على نصائحه و توجيهاته في انجاز هذه المذكرة.

- **الأستاذة بوزار حبيبة:**

أشكر توجيهاتها القيّمة.

- **الأستاذ خالدي محمد:**

أشكر دعمه لي بعلمه وعمله القيم.

- **جميع أساتذة قسم الفنون:**

أشكرهم على ما قدموه لي من علم ومعرفة.

- **عائلة بن قلفاط:**

أشكر كرمهم وعطاءهم معي. لقد كانوا كبصيص الأمل في مرحلة يأسي عن إيجاد معلومات تخص الحرفي المبدع المرحوم بن قلفاط. لقد زودوني بالمعلومات والصور. شكر خاص للسيدة وسيلة بن قلفاط حفيدة الحرفي وأخاها رياض بن قلفاط وابن عمهم الطبيب رياض بن قلفاط.

- **كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة.**

لا يسعني في هذه السطور أن أوفّي من شكرهم حقّهم، فلهم منّي جزيل الشكر والتقدير والعرفان.

ختاماً، أسأل الله تعالى أن يوفقني في مسيرتي القادمة، وأن يجعلني خير سفير لجامعتي وبلدي.

مع خالص الشكر والتقدير

إ هـد ا ء

إلى من آمن بي ورعاني منذ نعومة أظافري:

إلى أمي الحبيبة :شمعة تضيء دربي، ونبعٌ للحنان لا ينضب، أهدي ثمرة جهدي وسنين تعبي، تعبيرًا عن امتناني العميق وعرفاني بفضلِكِ اللامحدود. لقد آمنتِ بي منذ طفولتي، ودعمتِني في كلّ خطوة، وشجعتِني على تحقيق أحلامي. شكرًا لكِ على كلّ ما قدّمتِه لي، فأنتِ سرّ قوتي ونجاحي.

إلى جدتي العزيزة :منبع الحكمة والحنان، أهدي لكِ هذا الإنجاز، شكرًا لكِ على تربيتكِ الصالحة وتعليمكِ لي القيم والمبادئ. لقد كنتِ لي بمثابة الأم الثانية، علمتِني الصواب والحكمة بأمثالكِ الشعبية، وجعلتِني امرأة قوية ومحبوبة.

إلى خالتي حسيبة، صديقتي الأولى :شكرًا لكِ على دعمكِ الدائم وتشجيعكِ لي منذ صغري. لقد كنتِ لي بمثابة الأخت الكبرى، شاركتِني أفراحي وأحزاني، وساعدتِني على تخطّي الصعاب.

إلى نهاد ابنة خالتي وأختي: شكرًا لكِ على حبّكِ ودعمكِ لي لقد كنتِ لي بمثابة الصديقة المقربة، شاركتِني لحظات طفولتي الجميلة، وزرعتِ في قلبي البهجة والسعادة.

إلى خاليّ، عبد الوهاب وأسامة: أهدي إليكما نجاحي هذا كانت معاملتكما لي وكلماتكم بمثابة حافزٍ يدفعني نحو الاجتهاد والتفوق، فمن هذا المنبر أتمنى النجاح والتفوق لكل من محمد وزينب ويونس ورزان أبناء خالي عبد الوهاب.

إلى من ساندني ووقف بجانبي في رحلتي العلمية:

إلى كلّ من آمن بقدراتي وشجعني على تحقيق أحلامي :شكرًا لكم على إيمانكم بي، فقد كان لدعمكم دورٌ كبيرٌ في نجاحي.

إلى روح المرحومة الخالة عتيقة، الصديقة والحبيبة :تمنيتِ لو كنتِ حاضرةً معي لأشاركِكِ فرحتي بهذا الإنجاز. شكرًا لكِ على كلّ ما قدّمتِه لي، رحمكِ الله تعالى.

إلى عمو حميد، الذي كان بمثابة أبٍ لي :شكرًا لكِ على كرمكِ ودعمكِ لي منذ صغري. لقد كنتَ لي بمثابة السند والعون، وساعدتِني على تخطّي العديد من الصعاب.

إلى زملائي في الجامعة :شكرًا لكم على أجمل سنوات حياتي التي قضيتها معكم. لقد جمعتنا لحظات جميلة، وشاركتنا أفراحنا وأحزاننا، وكونتم لي سندًا وعونًا في رحلتي الدراسية.

إلى الأخ والزميل والسند زميلي **أمير ضياء الدّين** :شكرًا لكِ على صداقتكِ ودعمكِ لي. لقد كنتَ لي بمثابة الأخ، ساعدتِني في العديد من المواقف، وشاركتني أفراحي وأحزاني .

إلى من صنعوا الأمل في قلبي:

إلى السيدة نكروفي زهيرة :شكرًا لكِ على كلامكِ المحفّز والمشجّع لي. لقد كنتِ لي بمثابة الأمل، وساعدتِني على تخطّي العديد من المواقف الصعبة.

إلى من علّمَتني في طفولتي ورافقتني في أصعب فترات حياتي معلمتي مريم :**شكرًا** لك على حنانك ورقتك لقد كنت لي بمثابة السند والعون، وساعدتني على النموّ والتطور شكرًا لكِ على علمكِ ونصائحكِ القيّمة لقد كنتِ لي بمثابة المعلمة المخلصة، وساعدتِني على اكتساب المعرفة والمهارات.

إلى صديقتي وخالتي عمرية :شكرًا لكِ على صداقتكِ ودعمكِ لي ووقوفك بجانبي في لحظات حزني وفرحي.

مصابحي شيراز سناء

المقدمة

في لحظة تتقاطع فيها الحرفية والفن، تبرز قطعة من النحاس السامق وتتحول إلى قطعة فنية تحمل في طياتها عبق التاريخ وسر الإبداع. إن النقش على النحاس، هذا الفن القديم الذي ينبعث منه عبق الماضي ورونق الحاضر، يعكس جمالية الحرف التقليدية وعمق الثقافة الشعبية. تتنوع تقنياته وتعبيراته الفنية، من الأساليب البسيطة إلى الأساليب المعقدة، مما يجعلها تجربة إبداعية لا مثيل لها. فالنقش على النحاس ليس مجرد تقنية، بل هو لغة تعبر عن الهوية والتراث والتاريخ للمجتمعات التي ازدهرت فيها هذه الفنون الراقية. ومن بين هذه المجتمعات: "الجزائر" التي تعتبر واحدة من البلدان التي استوطنتها حضارات عديدة عبر العصور، حيث تركت هذه الحضارات بصماتها العميقة على عادات وتقاليد الشعب الجزائري، بالإضافة إلى الصناعات الفنية والحرفية التي ازدهرت في تلك الفترات الزمنية المختلفة. ومن بين هذه الصناعات المتميزة تأتي حرفة النقش على النحاس كواحدة من الفنون التقليدية التي تشتهر بها البلاد. ففي كل مدينة جزائرية، يمكن للمرء أن يشاهد بصمة مميزة للنقش على النحاس، حيث تعكس هذه الأعمال الفنية الطابع الثقافي والجمالي الفريد لكل مدينة. فقد نشأت مدارس مختلفة في فن النقش على النحاس حيث تتميز كل منها بخصائص فنية مختلفة تبرزها و تميزها عن غيرها .

ومن بين هذه المدارس، تبرز مدرسة مدينة تلمسان بشكل خاص، حيث اشتهرت هذه المدينة عبر العصور بأنها مركز للفنون والحرف التقليدية بفضل موقعها الجغرافي الذي لعب دورا كبيرا اذ جعلها مركزًا تجاريًا هامًا منذ العصور القديمة .

أهمية الموضوع: تأتي أهمية هذا البحث من ضرورة فهم وتوثيق التقنيات والأساليب المستخدمة في النقش على النحاس وأصولها وتاريخها العريق ومختلف مدارسها في الجزائر وكذلك تسليط الضوء على أشهر الحرفيين في هذا المجال .

الهدف من الموضوع:

- يهدف هذا البحث للتعرف والتعريف بحرفة النقش على النحاس والمراحل التي تمر بها.

- تهدف هذه الدراسة أيضا إلى توثيق تاريخ وأصول فن النحاس في الجزائر، من خلال الكشف أصوله وتطوراته عبر العصور.

- يهدف هذا البحث إلى دراسة حرفة النقش على النحاس بالجزائر عموما وبمدينة تلمسان بشكل خاص وذلك بتحليل أعمال الحرفي الفنان محمد بن قلفاط كنموذج مع التركيز على الطابع الفني لمدرسة تلمسان.

- تهدف هذه الدراسة إلى تعزيز الوعي بعراقة فن النحاس في الجزائر، وإبراز دوره في تعزيز الهوية الوطنية والثقافية.

- نهدف من خلال بحثنا هذا لإحياء حرفة النحاس في الجزائر وتعزيزها، وذلك بتشجيع الشباب على تعلم هذه الحرفة التقليدية وتطويرها للحفاظ عليها.

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار الموضوع:

1- الأسباب الموضوعية:

أ- نقص الدراسات حول حرفة النقش على النحاس بمدينة تلمسان.

ب-محاولة إعادة احياء هذه الحرفة بالتعريف بها وذكر أصولها وتاريخها العريق.

ج-حرفة النقش على النحاس مهددة بالزوال في الجزائر عامة وتلمسان خاصة.

هـ- كذلك نسعى للمساهمة في زيادة الدراسات التي تهتم بالتراث الجزائري بشكل عام والحرف اليدوية كالنقش على النحاس في تلمسان بشكل خاص.

2- الأسباب الذاتية:

أ- لم يكن اختياري لموضوع الخصائص الفنية للنقش على النحاس بمحض الصدفة، بل كان بسبب حبي لتراث بلادي الجزائر الحبيبة وغيرتي وخوفي على تراثها من الزوال أو السرقة، فمن واجبي المساهمة في الحفاظ عليه بالتدوين عن تاريخه وأصوله وأشهر أعلامه.

ب- وكذلك كوني ابنة مدينة تلمسان الجوهرة، ابنة أحيائها الشعبية، ابنة حي المدرس العتيق الذي تتآكل جدرانه وتريب دروبه وتهدم بيوته وتغلق دكاكينه التي كانت تمارس فيها أعرق أنواع الحرف والصنائع كصناعة الأحذية وصناعة المجبوذ والنسيج والنقش على النحاس...ابنة هذا الحي أبا عن جد التي ترعرعت على العادات والتقاليد التلمسانية الجزائرية، المتحسرة على اندثار هذا الموروث الشعبي والثقافي واهماله.

ج– و من ناحية أخرى كان اختيارنا لموضوع الخصائص الفنية للنقش على النحاس كموضوع دراسة رسالتنا للتخرج عن قناعة وحب، فكوني طالبة فنون تشكيلية من واجبي أن أفيد بتخصصي وطني والأمة الإسلامية. وكذلك كوني محبة لفن الزخرفة الذي تعتمد عليه صنعة النقش على النحاس بتلمسان بشكل خاص .

د– الرغبة في اكتشاف تقنيات النقش على النحاس والاسهام في توثيق التراث الثقافي الفني للمنطقة، كما تعتبر اعمال الفنان محمد بن قلفاط نموذجا مثاليا لفهم هذا الفن و تقنياته .

الإشكالية:

النحاس جزء من التراث الثقافي الجزائري، حيث تحتفظ العديد من الأسر الجزائرية بقطع من النحاس الموروثة عبر الأجيال كتحف وزخارف لبيوتهم. ومع ذلك، فإن معظمنا يغفل عن مراحل العمل الفني التي مرت بهذه القطع قبل وصولها لأيدينا، ولا يلاحظ التفاصيل الفنية الدقيقة التي تحملها هذه القطع من نقوش وزخارف وكتابات متنوعة. فجاء البحث معالجا للإشكالية التالية :

ماهي الخصائص الفنية التي ميزت مدينة تلمسان عن باقي المدن الجزائرية في حرفة النقش على النحاس وهل كان لمحمد بن قلفاط ميزة ودور في تأصيلها ؟

ومن هذا المنطلق تعمقنا في البحث فطرحنا الأسئلة الفرعية التالية وهي :

– ماهي مختلف العمليات التي يخضع لها النحاس حتى يتحول إلى قطع فنية ؟

– ما هو واقع حرفة النقش على النحاس في المجتمع التلمساني؟ وماهو مصير المنتسبين إليها ؟

– كيف يمكن الحفاظ على هذه الحرفة التراثية العريقة؟ وهل يمكن ربط جسور تواصل ما بين الأجيال بحمايتها من الزوال ؟

خطة البحث: في دراستنا هذه، اعتمدنا على الجانب النظري والجانب التطبيقي (الميداني) لتحقيق هدفنا، والذي يتمثل في إبراز التقنيات والخصائص الفنية لحرفة النقش على النحاس، وتوضيح واقعها في منطقة تلمسان. تمثل هذه الدراسة محاولة لفهم عميق لتاريخ هذه الحرفة وتطورها عبر الزمن، بالإضافة إلى تحليل الأساليب والتقنيات المستخدمة فيها، ودراسة التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية لممارستها في المجتمع المحلي. يسعى البحث أيضًا إلى توثيق الخبرات العملية للحرفيين والحفاظ على هذا التراث الثقافي الهام، وذلك خلال مزج النظريات الأكاديمية بالتجارب الميدانية والملاحظات الواقعية، بتوفير إطار شامل وعلمي لدراسة هذا الموضوع بطريقة شاملة ومنهجية .

فانطلاقا من هذا التصور جاءت خطة البحث بمقدمة و ثلاثة فصول :

الفصل الأول، والمعنون ب: **"فنون النقش وحوامله "** كان موضوعه حول النقش وأنواعه فقد ضبطنا مصطلح النقش وذكرنا أشهر أنواعه، وعرفنا بمعدن النحاس ومراحل تكوينه، ابتداءً من مرحلة تواجده كمادة خام في باطن الأرض، وصولاً إلى مرحلة تحويله إلى صفائح نحاسية جاهزة لاستخدامها من قبل الحرفيين في عمليات النقش .

بينما **الفصل الثاني** والموسوم ب: **"النقش على النحاس"** تم التركيز على استكشاف أصول فن النقش على النحاس في الجزائر، مع التركيز الخاص على مدينة تلمسان كمركز رئيسي لهذه الصناعة .

وتم استعراض تاريخ هذه المدينة وتوثيق تطورها في مجال النقش على النحاس، مع التركيز على الخصائص الفنية الفريدة التي تميز هذا النوع من النقش في المنطقة. تم تحليل هذه الخصائص بشكل عميق ودقيق، مع إبراز العناصر المميزة للنقش على النحاس في تلمسان ودورها في تحديد الهوية الثقافية والفنية للمنطقة .

أما **الفصل الثالث** والأخير عنون ب:**"رواد فن النقش على النحاس بتلمسان"**، فقد ركزنا فيه على الجانب التطبيقي للدراسة، حيث قمنا بزيارة ميدانية إلى ورشة أحد الحرفيين في مدينة تلمسان. فكان الهدف من هذه الزيارة هو دراسة العملية الفنية للنقش على النحاس عن قرب بمشاهدة الحرفي خلال عمله. إذ تم تسجيل الملاحظات والمقابلات مع الحرفي لفهم عمليته بشكل أعمق، وتوثيق تجاربه وخبراته في هذا المجال. ففي هذا الفصل قمنا بتخصيص إهتمامنا بشكل أساسي لدراسة أبرز الشخصيات المهمة في مجال صنعة النحاس بمدينة تلمسان ومن بين هؤلاء الشخصيات الحرفي المرحوم محمد بن قلفاط إذ تم تحليل عينات من أهم أعماله تحليلا فنيا وفق القواعد الأكاديمية التي تعلمناها في مشوارنا الدراسي بهدف فهم وتقييم وتوثيق الجوانب الفنية والتقنية المميزة في أعماله .

والجدير بالذكر في هذا الفصل اننا أشرنا الى أعرق الأحياء التلمسانية التي مورست فيها جل الحرف اليدوية بشكل عام والنقش على النحاس بشكل خاص كحي الصفارين .

وانتهى البحث ب: **خاتمة** سجلنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال بحثنا في هذا الموضوع وقمنا أيضا باقتراح بعض الحلول للحفاظ على حرفة النقش على النحاس من الاندثار .

المنهج المتبع: وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي، نظرًا لأهمية العنصر التاريخي في فهم جذور هذه الصناعة وتطورها، بالإضافة إلى كيفية وصولها إلى الجزائر ومراحل نموها وازدهارها في مختلف ولايات الوطن عامة، وفي مدينة تلمسان بشكل خاص .

كما تم الاعتماد على المنهج الوصفي في عرض الأشكال الزخرفية، سواء كانت عناصر نباتية أو هندسية أو غيرها، المتميزة في أعمال الحرفي محمد بن قلفاط كنموذج. بالإضافة إلى استخدام المنهج التحليلي أيضًا للإجابة عن التساؤلات المطروحة، حيث تم تحليل الخصائص الفنية لفن و حرفة النقش على النحاس.

الدراسات السابقة: من أهم الدراسات التي استندنا عليها في انجاز بحثنا هي:

- طرشي أحلام صابرينة، صناعة النحاس في قسنطينة (دراسة فنية).

- قاسي فاطمة الزهراء، صناعة النحاس التقليدي في الجزائر: حرفة بين تحديات البقاء والمساهمة في التنمية.

- شريفة طيان، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني.

- محمد خالدي، لغة النقش على المصنوعات النحاسية دراسة لغوية وصفية.

- العربي بوحسون، الحرف والصنائع التقليدية في مدينة تلمسان" مقاربة تاريخية وأنثروبولوجية واقتصادية".

عرض وتحليل أهم المصادر والمراجع:

من أهم المصادر:

– ابن منظور، لسان العرب: هذا المعجم بمثابة صرح لغوي شامخ ومرجع لا غنى عنه لكلّ من يبحث عن كنوز اللغة العربية وفَهم دقائقها. فقد ضمّ هذا المعجم الضخم في طيّاته ثروة هائلة من المفردات، وشرحها بدقةٍ وإتقانٍ. فقد استندنا على هذا المصدر فيما يتعلق بعريف اللفظتين "النقش" و"نحاس"، فقدم المعجم شرحًا دقيقًا لمعاني الكلمات مع ذكر الأمثلة والشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال كبار اللغويين.

من أهم المراجع:

- محمد بكير مصطفى، فن صناعة المعادن: يأخذنا كتاب "فن صناعة المعادن" للمؤلف محمد بكير مصطفى في رحلة غنية بالمعلومات عبر عالم تشكيل المعادن، بدءًا من استخراجها من المناجم وصولًا إلى تشكيلها، فاستندنا على هذا الكتاب فيما يخص رحلة النحاس أي المراحل التي يمر بها من معدن في صخور المناجم حتى يصبح صفائح جاهزة بين أيدي الحرفيين المبدعين.

الصعوبات:

إنّ رحلة البحث مهما كان نوعها أو درجتها، لا تخلو من التحديات والصعوبات التي تعترض طريق الباحث في مختلف مراحلها. فمنذ لحظة اختيار موضوع البحث وصولاً إلى كتابة النتائج ونشرها، يواجه الباحث العديد من العقبات التي تتطلب منه الصبر والمثابرة والإصرار على إنجاز بحثه على أكمل وجه فمن الصعوبات التي واجهناها في بحثنا هذا:

- نقص المصادر والمراجع التي تدرس الحرف اليدوية بشكل عام وحرفة النقش على النحاس بشكل خاص.

-معظم الكتب التاريخية المهمة غير مجانية وان وجدت تكون باللغة الفرنسية أي بأقلام اجنبية خاصة فيما يتعلق بالتراث الجزائري التلمساني.

- ضيق الوقت، فللبحث عن موضوع قيم كهذا نحتاج وقت أطول للغوص في دراسة خبايا هذا الموروث الغني.

- الضغوطات النفسية والعائلية و التقلبات المزاجية.

مصابحي شيراز سناء 26-06-2024

الفصل الأول:

فنون النقش ومواده

المبحث الأول: النقش وانواعه

1-مصطلح النقش :

يعتبر النقش من أقدم الفنون التي عرفها الانسان مند وهلته الأولى، من بداية العصر الحجري والتي كان الانسان البدائي فيها يستعمل النقش كوسيلة لتدوين يومياته على جدران الكهوف، ومن ثم تطور عبر العصور وتنوع بتنوع الشعوب والحضارات.

فلفظة نَقْش عند العرب تعني:

نقش: النَقْش النَقاش (قوله النَقش النقاش كذا ضبط في الأصل) نَقَشَه يَنقُشه نَقْشًا .

و اِنْتقَشَه: نَمنمَهُ فهو مَنْقُوشٌ ونَقَّشَه تَنْقيشًا والنَقَاشُ صَانِعُه وحِرْفَتُه النِّقَاشَةُ والمِنقاشُ الالَةُ التي يُنْقَش بها. اَنْشد ثعلب:

فواجزنا إن الفراق يروعني بمثل مناقيش الحلي قصار

قال: يعني الغِرْبان. والنَّقْشُ: النتْفُ بالمِنقاش وهو كالنَتْشِ سواء. والمِنْقُوشَةُ: الشجّةُ التي تُنْقَشُ منها العظامُ أي تُستخرج.[1]

فالنقش: هو نمنمة النقاش أي (الحرفي) باستعمال المنقاش (أي الوسيلة التي ينقش بها) النقاشة هي و الحرفة.

فالنَقْشُ ما نُقَشُ على الشيء من صور وألوان والنِّقاشَة حرفة النَقَّاش والنَّقَاش صانع النَقْش.

[1]ابن منظور، معجم لسان العرب، ج6 ، د ط، دب، دس ، ص 358

والنَّحْتُ: من نحت ونحت نحتاً، العود براه، والحجر سواه وأصلحه، والخشبة تجرها والنَّحَات من مهنة نحْتِ الحجارة.

والحفر: من حفر حفر الأرض أي أحدث فيها حفرة واِحْتَفَرَ الأرض حفرها.[1]

وبعد ضبط معاني هده الالفاظ الثلاث وذكر أوجه الاختلاف بينها يمكننا القول ان لفظ نحت يستعمل للإشارة لمهنة او فن نحت الحجر حتى يصبح منحوته او قطعة فنية فالأصح قول النحت على الحجر.

أما كلمة حفر فتستخدم للتعبير عن العمل الذي يتطلب جهدا بدنيا مثل حفر المناجم والأرض.

أما لفظ نقش يستعمل للحرف والاعمال التي تتطلب جهدا ذهنيا وبدنيا بالإضافة الى خبرة ومهارة الحرفي.

إن النقش فن تشكيلي يعتمد على تشكيل وتزيين المواد الصلبة: كالحجر والخشب والمعادن، بإزالة أو تقعير أجزاء من سطحها لتكوين زخارف متنوعة كالزخارف الهندسية، النباتية أو رموز او كتابات بخطوط متعددة.

فالنقش أيضا حرفة تقليدية، وإرث غني يمثل ويبرز حضارة الشعوب عبر التاريخ فهو يعبر عن مدى براعة وابداع الحرفي في توثيق الاحداث التاريخية والحفاظ على التراث من عادات وتقاليد للأجيال القادمة. فبفضل ممارسة الحرفيين لفن النقش وتوريثهم إياه للأجيال وذلك بتعليم الشباب صنعة* الأجداد ساهموا في إبقاء هذا الفن حيا في عصرنا الحالي.

[1] بن عمار محمد، حرفة النقش على الخشب في تلمسان، (دراسة تاريخية وفنية)، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم الثقافة الشعبية شعبة الحرف والصناعات التقليدية، ص " د".

*صنعة: عمل الصَّانع وحرفته "صَنْعة النجار- صنعة في اليد سوار من ذهب" في يده صَنْعَة (معجم المعاني الالكتروني https://www.almaany

2- أنواع النقش :

أ-النقش على الخشب:

يُعدّ النقش على الخشب من أقدم المهن الحرفية، ويرتبط تاريخه ببدايات الحضارات الإنسانية. حيث نشأت هذه المهارة من حاجة المجتمعات البدائية إلى تكييف الخشب لخدمة احتياجاتهم اليومية.

فمع تطور المجتمعات تطورت صناعة النقش على الخشب، وأصبحت أداةً للتعبير عن ثقافات الشعوب وجمالياتها. فظهرت النقوش على الخشب بأشكال حيوانية ونباتية وهندسية، عكست تنوع البيئات وتنوع الثقافات.

تؤكد الاكتشافات الأثرية في حضارات وادي الرافدين والسومرية والآشورية والحضارة الفرعونية والحضارات الآسيوية القديمة على قدم هذه الحرفة وارتباطها الوثيق بالتاريخ الإنساني. ففي زمن السومريين والفراعنة، اتخذ النقش أشكالًا حيوانية وطيورًا، تعبيرًا عن إيمانهم بالرمزية والقوى الخارقة للطبيعة. بينما اتجه الإغريق نحو جمال الجسد البشري، فظهرت النقوش على تماثيلهم تعبيرًا عن إلهة الجسد والروح. اما في الشرق الأقصى (الشرق الاسيوي)، انعكست البيئة بشكل واضح على نقوش الحضارة الصينية العريقة، فظهرت الحيوانات والتنانين الأسطورية والفيلة والنباتات المحلية في إبداعات فنية مميزة.[1]

أما الحضارة العربية فتميزت بالإبداع في فن النقش عامة والنقش على الخشب خاصة، حيث اعتمدت على الزخارف الإسلامية التي تمثلت في الأشكال النباتية والهندسية المتداخلة. وتُعدّ هذه الزخارف تعبيرًا عن روح الدين الإسلامي وجمالياته فنجدُ أمثلةً رائعةً للنقوش الإسلامية في مختلفِ أنحاءِ العا لم الإسلاميِّ

صُنْع وإنتاج " {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ}: عمل الدُّروع التي تلبس في الحرب."، الصَّنعة: الطَّريقة المنظَّمة الخاصَّة التي تتَّبع في عمل يدويّ أو ذهنيّ "يشرب، الصَّنعة ." (احمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة)

[1]بن عمار محمد ، حرفة النقش على الخشب في تلمسان، (دراسة تاريخية وفنية) ، ص ص 192 -193 ، (بتصرف)

من المحاريبِ والمنابرِ إلى مشارفِ الأضرحةِ والزواياِ. وتُعدُّ هذهِ النقوشُ شاهدًا على عظمةِ الحضارةِ العربيةِ وإبداعِها.[1] فالزخرفة الإسلامية أسلوب فني فريد يعبر عن مبادئ الدين الإسلامي مثل: التوحيد والتنوع والتوازن، إذ يتجلى ذلك في الزخارف والنقوش الهندسية والنباتية والكتابات بالخطوط العربية المتنوعة مع تجنب تصوير الكائنات الحية فجمال الدين الإسلامي وروحانياته تظهر من خلال تناغم الأشكال والألوان في مختلف إبداعات العرب المسلمين، إذ لا يكاد يخلو بيت عربي إلا ونجد فيه لمسات فنية عربية. فهذا النوع من النقش استعمل لتزيين الأبواب والنوافذ والاثاث...

ب- النقش على الجبس (الجص) :

الجص او الجبس مادة صلبة ومن الخامات المتوفرة بكثرة في الأرض، وهو خام من كبريتات الكلسيوم وضرب من الحجارة تطحن وتحرق لتستخدم في البناء، وهو نوع من أنواع الصخور يتواجد بالطبيعة ويجاب من القاع في شكل كتل، أكثر معدن كبريتي منتشر في الطبيعة ويعتبر الجبس من أكثر المواد التي تستخدم لعمل الديكورات وتزيين الحوائط والاسقف الخاصة بالمنازل والمباني الأخرى سواء كانت خارجية او داخلية وذلك لكونه عجينة سهل تشكيلها واكسابها الفورمة المطلوبة.[2]

استخدم الجبس لأغراض مختلفة عبر التاريخ منها: النقش وذلك بسبب قابليته للطرق، مما يسمح بإنشاء نقوش معقدة. اذ استخدمه انسان ما قبل التاريخ لتزيين جدران الكهوف ورسم الحيوانات والطقوس الدينية، فتطور بتطور الانسان عبر الزمن واستعملته كل حضارة بطريقتها حسب ثقافتها وبيئتها، فالحضارة الفرعونية استعملت النقش للتزيين والتدوين على جدران المقابر والمعابد، اما الحضارة الرومانية فاستعملته لتزيين المباني والاثار.

[1] بن عمار محمد ، المرجع السابق ، ص ص 192 193 ، (بتصرف)

[2] فورار هشام، السمات الجمالية لفن الزخرفة على الجبس في بهو كلية الآداب بجامعة تلمسان، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، قسم الفنون ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب واللغات ، 2018/2017، ص 15

فالنقش على الجبس فن عمارة عريق، لقي أوج ازدهاره عند العرب ،اذ تمتد جذوره الى القرن الحادي عشر للميلاد على يد المسلمين العرب الذي ابدعوا في العمارة الإسلامية اثناء تواجدهم بالأندلس، حيث ازدهرت مهنة الفسيفساء ومهنة الخشب المنقوش و الملون ومهنة النقش على الجبس التي نقلها العرب المنحدرين من الاندلس الى بعض المدن المغربية كمدينة فاس العتيقة والتي ساهم معلموها في ادخال تقنيات النقش على الجبس الى بعض الدول الإسلامية اذ تظهر بعض معالمه في كل القصور والمساجد و الاضرحة والبنايات الفخمة في دول الشرق العربية وبعض الدول الغربية.[1]

ج- النقش على المعادن:

يعدُّ النقش على المعادن gravure sur métal واحداً من الفنون الزخرفية التي ترعرعت مع تطور الفنون اليدوية والتطبيقية المصنعة من المعادن. ويتمثل باستخدام رسوم يدوية على السطوح المعدنية بعد تحويلها إلى نقوش بارزة أو غائرة تترُك إثر معالجتها أثراً واضحاً للبعد الثالث عبر إسقاطات الأضواء والظلال، ولتنفيذ هذه النقوش على نحو دقيق ومثالي يُطلب إلى المنفِّذ قراءة العمل فراغياً لتحويل الخطوط المرسومة إلى عناصر تشكيلية[2].فالنقش على المعادن حرفة معقدة ومن أقدم الفنون وأكثرها دقة، حيث تتطلب مهارات فائقة وتلاعبا محكما بمواد معدنية مختلفة مثل: الذهب والفضة والنحاس للإنشاء وتشكيل نقوش وزخارف متقنة. اذ يتمثل النقش على المعادن في الأدوات الاستعمالية التي تعدّ من الضرورات الحياتية الملحّة كالقدور والأطباق والمراجل والأبواب والمصابيح وقبضات السيوف والمرايا وغيرها، إذ بدأ الإنسان

[1] رزقي نبيلة ، الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط و الأندلس (القرن 8/7هـ-14/13م)-دراسة تحليلية مقارنة-رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم علم الأثار ،كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية ، 2015/2014 ، ص ص 10 11 ، (بتصرف)

[2] احمد الأحمد، النقش على المعادن، الموسوعة العربية Arab Encyclopedia، المجلد العشرون ، رقم الصفحة ضمن المجلد 835، الرابط: https://arab-ency.com.sy/ency/details/11231/20

بتطوير أشكالها وزخرفتها والارتقاء بها بإمكاناته وطاقاته الإبداعية واستخدامه نماذج متنوعة مما يحيط به في الطبيعة من عناصر إنسانية وحيوانية ونباتية وهندسية[1].

فمع مرور الوقت، استلهم الحرفيون من العالم من حولهم، وقاموا بدمج عناصر من الطبيعة مثل البشر والحيوانات والنباتات والأشكال الهندسية في نقوشهم. ومن خلال دمج هذه العناصر المتنوعة، حوّل النقش المعدني الأشياء العادية إلى أعمال فنية تعكس براعة المبدع وجمال العالم الطبيعي من حوله. إن دمج الوظيفة النفعية مع التعبير الفني في نقش المعادن يسلط الضوء على براعة وإبداع البشرية عبر التاريخ، ويعرض قدرتنا على رفع العناصر اليومية إلى قطع ذات جمال وأهمية من خلال التصاميم المعقدة والحرفية الماهرة.

المبحث الثاني: النحاس كمادة خام

1-تعريف النحاس:

يعتبر النحاس من أقدم المعادن التي اكتشفها النسان في الطبيعة منذ عصور ما قبل التاريخ، وعنصر أو مادة استخدمها البشر لتسهيل حياتهم اليومية. فقد تم اكتشاف هذا المعدن منذ أكثر من عشرة الاف سنة قبل الميلاد.[2] وهو ذو لون احمر ذهبي بطبيعته ويمكن أيضا ان يكون قزحي الألوان، مما يعني انه عندما يضربه الضوء، فإنه يعكس ألوانا مشابهة للألوان الطيف. [3] وهو متغير اللون وغالبا ما يغلب عليه اللون الأحمر وقد اشتق إسم النحاس من الإسم اللاتيني لجزيرة قبرص Cyprusوسمي الخام cyprium ثم حرف على مدى السنين الى cyprum وقد اشتق رمزه الكيميائي Cu من الحرفين الأولين لاسمه.[4]

[1] احمد الأحمد، المرجع السابق ، ، رقم الصفحة ضمن المجلد 835، الرابط: https://arab-ency.com.sy/ency/details/11231/20

[2] طرشي أحلام صابرينة، صناعة النحاس بقسنطينة (دراسة فنية)، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ وعلوم الاثار، 2011 /2012، ص 54.

[3] Terence Bell, learn about copper (what is copper), thoughtco, august 21 ,2020, https://www.thoughtco.com/metal-profile-copper-2340132.

[4] طرشي أحلام صابرينة ، المرجع السابق ، ص 54.

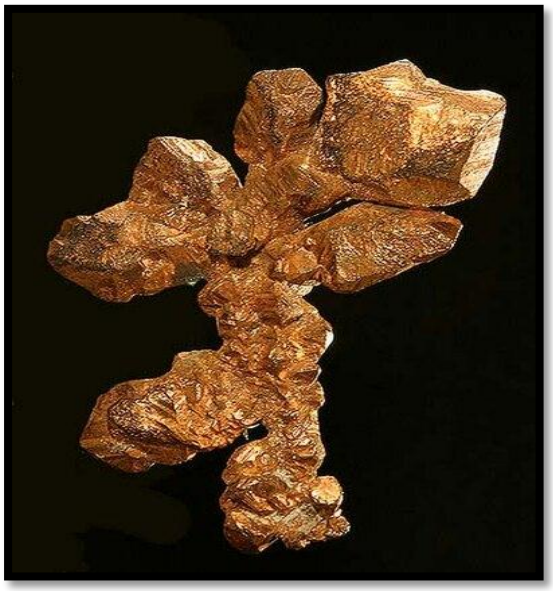

شكل1: عينة من النحاس الطبيعي الخام عثر عليها في منجم في الولايات المتحدة

الصورة اخذت من موقع:https://en.wikipedia.org/wiki/Copper

تعددت واختلفت تعريفات النحاس كتعدد استعمالاته. فقد عرَّفه العرب في معاجمهم على أنه: ضرب من الصفر والانية شديد الحمرة. والنحاس بضم النون الدخان الذي لا لهب فيه.

وفي النزيل: ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ**﴾ [1]

قال الفراء: وقررئ ونحاس قال: النحاس الدخان قال الجعدي:

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

قال الازهري: وهو قول جميع المفسرين وقال أبو حنيفة: النحاس الدخان الذي يعلو وتضعف حرارته ويخلص من اللهب.

ابن بزرج: يقولون النحاس بالضم الصفر نفسه والنحاس مكسور دخانه وغيره يقول للدخان نحاس.[2]

[1] سورة الرحمن الآية 35

[2] ابن منظور، معجم لسان العرب، ج 14 ، ص 210

القِطْرُ: النحاس والاني الذي قد انتهى حَرُّه.[1]

ومن هنا يمكننا القول أنه مهما كثرت واختلفت تعريفاته تبقى تصب في مجرى واحد أي معنى واحد ألا وهو أنه معدن يميل لونه إلى الأصفر المحمر يستعمل في صناعة الأدوات المعدنية والتحف الاثرية وقد استخدم في صناعة العملات والاواني وأدوات الزينة.[2]

كيفية استخراجه ومراحل إعداده للحرف والصنائع :

يتم الحصول على النحاس من المناجم حيث يتم استخراج المواد الخام ومن ثم نقلها إلى المصانع أو المصاهر عبر الشاحنات. تختلف جودة الخام، مما يؤدي إلى طرق معالجة مختلفة. الهدف الأساسي من استخراج النحاس هو فصل المواد المعدنية القيمة عن الخام.[3] تعد خامات الكبريت مصدرًا شائعًا للنحاس، حيث يصل محتوى النحاس في هذه الخامات إلى حوالي 5% ومن هذه الخامات:

-بريت النحاس، الهالكوبيت Cu2S.Fe2S2 وهو أكثر خامات النحاس انتشارا.

-الهالكوزيت CU2S.

-البورنيت او الخام الارقط 0Cu2S.FeS. CuS

-الكوبريت، خام أكسيد النحاس CU2Oويعتبر من الخامات الفقيرة.

تخضع هذه الخامات لعمليات استخراج محددة لعزل النحاس فهناك طريقتان: الطريقة البيرومتالوجية (الجافة) والطريقة الهيدرومتالوجية (الرطبة). فقد اشتهر استعمال الطريقة الجافة (البيومتالوجية) والتي تتكون من العمليات التالية:

[1] ج ابن منظور، معجم لسان العرب 5 ، ص105

[2] م. حميان، عبد الصمد، تحليل وتشخيص لموارد النحاس الاثرية Analysis and characterization of Archeological Copper Materials، دراسات في اثار الوطن العربي ، 20 ، ص1157

[3] طرشي أحلام صابرينة، المرجع السابق ، ص68.

–تركيز الخام: وفيه تبدأ رحلة النحاس بفرز الخام عن الصخور المحيطة به وبعد الفرز يتم تفتيت الخام وطحنه الى قطع صغيرة جدا مما يزيد من مساحة سطحه وتسهل عملية استخلاص النحاس.

–التحميص: بعد تركيز الخام، يتم نقله إلى **أفران التحميص،** حيث يتعرض لدرجات حرارة عالية. خلال عملية التحميص، تحدث تفاعلات كيميائية معقدة تُزيل الكبريت والأكسجين من خام النحاس.

–التحويل الى نحاس صخري (شتين)

– الحصول على النحاس النقي. [1]

تنقية النحاس: تجري خلالها عملية فصل النحاس النقي عن المعادن الأخرى (الذهب، الفضة والزنك وتتم بالتحليل الكهربائي، فتبنى لهذا الغرض احواض بأقطاب كهربائية سالبة وموجبة، وبإدخال الكهرباء في الأقطاب يتحلل النحاس في الأقطاب الموجبة ويتسرب نقيا على الأقطاب السالبة.[2]

بعد مرحلة المعالجة النهائية، يتم صهر المادة الخام وتحويلها إلى صفائح نحاسية كبيرة. يتم بعد ذلك تصميم هذه الأوراق وتوزيعها بناءً على المتطلبات والطلبات المحددة للحرفيين، بما يتماشى مع طبيعة المهام المطروحة. يرتبط تشكيل وبيع صفائح النحاس بشكل معقد باحتياجات الحرفيين، مما يضمن استخدام المواد بكفاءة وفعالية لإنجاز المشاريع المختلفة.

[1] محمد بكير مصطفى، فن صناعة المعادن، مكتبة وفاء القانونية ، الطبعة الأولى، 2014 ، ص ص 55 56.

[2] قاسي فاطمة الزهراء، صناعة النحاس التقليدي في الجزائر حرفة بين تحديات البقاء والمساهمة في التنمية، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة والمالية ، العدد03، المجلد 06 ، سنة2017 ، ص 919

ملخص الفصل

منذ فجر التاريخ، قام الإنسان برسم حكايته وتأملاته على جدران الكهوف، تاركًا إرثًا فنيًا عريقًا يعرف بالنقش. تطور هذا الفن عبر العصور وتنوعت أشكاله بتنوع الحضارات، فمن نقوش الخشب التي عكست جمال الطبيعة إلى نقوش الجبس التي زينت القصور، وصولًا إلى نقوش المعادن التي أبدعت تحفًا فنية خالدة. يُعد النحاس من أهم هذه المعادن وأقدمها استخدامًا في النقش، لما يتميز به من لون ذهبي ولمعان دافئ. عرف العرب قديمًا النحاس واستخرجوه من المناجم ليصنعوا منه أدواتهم وتحفهم. تبدأ رحلة النقش على النحاس باستخراج المعدن من خامات الكبريت ثم تفتيته وطحنه ليخضع لعمليات معقدة تشمل التحميص والتحويل إلى نحاس صخري، وتختم رحلته بتقنيته وصهره ليصبح صفائح جاهزة ليبدع الحرفيون في تشكيلها وتحويلها إلى تحف فنية ساحرة. في كل قطعة نحاسية منقوشة، تلتقي حكاية الإنسان عبر العصور مع إبداعه وحضارته لتخلد روائع فنية تبهر الأجيال، مما يجسد اندماجًا فريدًا بين عبقرية الإنسان وجمال الطبيعة، تاركًا إرثًا ثقافيًا وفنيًا غنيًا يثري الحضارة الإنسانية.

الفصل الثاني:

الـــنـقـش

تمهيد:

تعتبر الجزائر موطناً غنياً بالتاريخ والحضارة، حيث تعاقبت عليها العديد من الحضارات العريقة، تاركةً وراءها إرثاً ثقافياً وفنياً هائلاً. هذه الحضارات أثرت بعمق في الفنون، العادات، التقاليد، والحرف اليدوية. من بين هذه الحرف التي ازدهرت في الجزائر منذ القدم، يبرز فن النقش على النحاس كأحد التجليات الإبداعية والمهارية للحرفيين الجزائريين.

يرجع تاريخ النقش على النحاس في الجزائر إلى عصور عتيقة، حيث ارتبط ظهوره بتطور التعدين وصناعة المعادن في المنطقة. استخدم الإنسان النحاس منذ القدم لصنع الأدوات والأواني، ومع مرور الزمن تطورت مهاراته في تزيين هذه القطع بنقوش وزخارف متنوعة.

يستعرض هذا الفصل تاريخ النقش على النحاس في الجزائر، بدءاً من العصور الرومانية وصولاً إلى العصر العثماني. كما يناقش التأثيرات المختلفة التي أثرت على هذا الفن، مثل الحضارة الأندلسية. ويسلط الضوء على دور الحرفيين الجزائريين في تطوير فن النقش على النحاس وابتكار تقنيات جديدة.

يقدم الفصل لمحة عامة عن أبرز مدارس النقش على النحاس في الجزائر، مثل مدرسة مدينة الجزائر العاصمة، مدرسة مدينة قسنطينة، ومدرسة مدينة تلمسان بشكل خاص. يناقش الخصائص الفنية لكل مدرسة، مع التركيز على الأساليب والتقنيات المستخدمة في النقش، ويعرض أمثلة على أشهر القطع النحاسية التي اشتهرت كل مدرسة بإنتاجها.

المبحث الأول: النقش على النحاس بالجزائر

1- أصول النقش على النحاس بالجزائر

يعد النقش على النحاس من أعرق الحرف اليدوية التقليدية في الجزائر، حيث يعود تاريخها الى عصور عتيقة. إذ يرتبط ظهور النقش على النحاس في الجزائر ارتباطا وثيقا بتطور التعدين وصناعة المعادن في المنطقة. فقد استخدم الانسان النحاس منذ القدم لصنع الأدوات والأواني ومع مرور الوقت تطورت مهاراته في تزيين هذه القطع بنقوش وزخارف متنوعة، فتشير الدلائل الأثرية إلى أن النقش على النحاس كان موجود في الجزائر منذ العصر الروماني حيث تم العثور على العديد من القطع النحاسية المزخرفة في مواقع أثرية مختلفة. (ويذكر" المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ" (تابع لوزارة الثقافة الجزائرية) أن الجزائر عرفت صناعة النحاس منذ العهد الزياني" إذ أنشأ الزيانيون مصانع لسبك النحاس والمعادن الأخرى في القرن ال13ميلادي وقاموا بصنع النحاسيات لتلبية حاجيات السكان").[1] أما في العهد العثماني فقد ازدهرت هذه الحرفة بشكل كبير وتأثر الحرفيون الجزائريون بالأنماط والتقنيات العثمانية، مما أدى إلى ظهور أساليب فريدة من نوعها منها: أسلوب الزخرفة المنفرد الذي يدعى بالتطريق فقد اشتهرت به كل مدن الجزائر. وتميزوا أيضا في هذه الحقبة بطريقة وتقنية الصناعة المعدنية بدون استعمال الصانع للنار وهذا ما يعطي للقطع المعدنية صلابة ومتانة. فهذا إن دل يدل على مدى مهارة وخبرة وحنكة الحرفيين الجزائريين في هذا الميدان.

[1] محمد لهوازي، رحلة صنايعية النحاس في الجزائر من الحفر الى الاندثار، مجلة عربية INDEPENDENT، د م ج ، الجمعة 08 ديسمبر 2023 الرابط: https://www.independentarabia.com/node/525456

تميزت العلاقات بين حكام الجزائر وسلاطين إسطنبول العثمانيين، وكذلك ملوك وحكام أوروبا، بتبادل الهدايا الثمينة، التي لعبت دورا مهما في تعزيز العلاقات السياسية والدبلوماسية، ولا تقتصر هذه الهدايا على القطع النادرة والثمينة، بل تشمل أيضا أعمالا فنية تعكس مهارة وإبداع الحرفيين الجزائريين.

اذ ساعد هذا التبادل على نشر النفوذ الفني بين الجزائر والدول الأجنبية، إذ استلهم الفنانون الجزائريون أساليب وتقنيات جديدة، وتعرفت الدول الأجنبية على جماليات الفن الجزائري وعبقريته. فمن أبرز القطع التي عرفوا بها هي: الصواني والاباريق ذات المقبض والقدور والطاسات، المباخر، المرشاة والصحون.

شكل1 : ابريق من نحاس مؤرخ بسنة1144هـ عمل الصانع حسن بن عبد النبي النحاس.

الصورة اخذت من موقع : https://journals.openedition.org/cy/2825?lang=en

فقد اعتمدت صناعة الأدوات المنزلية على نوعين رئيسين من النحاس: النحاس النقي الخالص (النحاس الأحمر) المعروف بصلابته ومتانته، والنحاس الممزوج بمعادن أخرى (النحاس الأصفر) لتحسين خصائص معينة مثل القوة أو مقاومة التآكل.

وما عزز أيضا تطور صناعة النحاس الجزائرية هو وفود الحرفيين الاندلسيين الذين جلبوا معهم معظم الأساليب الفنية التي ازدهرت في الاندلس مما أدى الى تطعيم صناعة النحاس الجزائرية بحرف جديدة وزخارف مبتكرة، مما اثرى ابداعها ورفع من جودة منتجاتها، كما ساهم اليهود أيضا في تقدم هذه الحرفة فبرع الحرفيون اليهود في زخرفة القطع النحاسية ، خاصة الصواني و الاباريق و المصابيح و الصناديق فتميزت ابداعاتهم بالدقة والاتقان مما جعلها محط اقبال كبير من الزبائن وسهل تسويقها زيادة على ذلك وفرت العوائد القادمة من تجارة البحر المتوسط، وخاصة استيراد الاواني النحاسية المصنوعة بجودة عالية فرصة للحرفيين الجزائريين للاطلاع على احدث التقنيات في هذا المجال فقد ساهم ذلك في تنمية مهاراتهم و اكتساب خبرة واسعة طورت من قدراتهم الإنتاجية .[1]

المطلب الثاني: مدارس ومراكز النقش على النحاس في الجزائر

النقش على النحاس ليس مجرد فن، بل هو لغة تنطق بتراث يتجاوز حدود الزمان، تراث يعكس هويات وتأريخيات متعددة. وفي قلب هذا الفن الراقي تتوشح الجزائر بلمساتها الفريدة، حيث تتناغم فيها الأصالة مع الإبداع لتخلق لوحات تروي قصص الأجداد وتحكي تفاصيل حضاراتهم.

تشكل الجزائر بؤرة للحضارات المتعاقبة، وكل طوق منها يضيف توقيعاً جديداً على بوابات التاريخ، تاريخ يظهر بوضوح في فن النقش على النحاس. ففي كل ضواحٍ من أرجاء البلاد، تنبض الأسواق والمعارض

[1] شريفة طيان ساحد، نحاسيات تلمسان في العهد العثماني، (القرنان 12-13هـ / 18-19 م)، اعمال ملتقى دولي بتلمسان أيام 5.4.3 أكتوبر 2011، بعنوان: تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، الجزء الثاني، المحور الرابع: الصناعات والحرف، من خلال مجموعة المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية –الجزائر–، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص ص 5-6، (بتصرف)

بقطع تحمل في طياتها قصص الشعب وأفكارهم، حيث يمكن للمرء أن يلمس بأصابعه الدقة والإتقان في كل خط وزخرفة.

تتألق المدن الجزائرية كألوان الطيف، كل منها يقدم لوحة فنية فريدة تنبض بحياة خاصة بها. من بساطة الأندلس إلى عمق الصحراء، تبرز المهارة الحرفية في كل زاوية. ومع كل مدينة تنبت مدارس النقش على النحاس، كلٌ منها يعزف لحناً مختلفاً يروي قصة وجدان المكان ومن أبرزها:

مدينة الجزائر العاصمة:

تُعدّ مدينة الجزائر حكاية خالدة تُسطرها صفحات التاريخ العريق، حكاية تتجاوز القرون، وتُشهد على تبادل الثقافات والتجارة عبر العصور، إذ ترتبط هويتها الاقتصادية بشكل وثيق بتاريخها الغني وخبرات سكانها المتنوعة، والتي أثرت في تطور الصناعات التقليدية مثل صناعة النحاس. ففي أعماق تاريخ الجزائر العاصمة، وجدت الحضارات المتعددة مأوى وملجأً، حيث تقاطعت ثقافات العرب والبربر والأمازيغ والأندلسيين والعثمانيين واليهود، مما أثر بشكل كبير في تنوع الحرف والصناعات. [1]

فمنذ فترة الوصاية العثمانية، عرفت الجزائر بكونها مركزًا تجاريًا هامًا في البحر الأبيض المتوسط، وكانت النقطة التي يتقاطرون إليها التجار والرحالة من جميع أنحاء العالم، لتبادل البضائع والمعرفة والثقافة.

تجسدت أهمية الجزائر العاصمة في تطوير صناعة النحاس من خلال انتقال اللاجئين الأندلسيين إليها بعد سقوط غرناطة عام 1492، حيث جلبوا معهم مهاراتهم وخبراتهم في صناعة الفنون والحرف، من بينها صناعة النحاس. ساهم هؤلاء اللاجئين بشكل كبير في إحياء هذه الحرفة في المدينة، وفي تطويرها بأساليب جديدة وتقنيات متطورة.[2]

[1] بوطيش سمير، الصناعات الجزائرية في العهد العثماني، مجلة القرطاس، معهد علم الاثار جامعة الجزائر 2، العدد 4 / جانفي 2017، ص3 (بتصرف).

[2] بوطيش سمير ، المرجع نفسه، ص3 (بتصرف).

على مر العصور، ازدهرت صناعة النحاس في الجزائر العاصمة، وكانت الأحياء القديمة مركزًا لهذه الحرفة. تميزت هذه الأحياء بتقسيماتها الخاصة، حيث كانت كل واحدة تخصصت في صناعة معينة، بما في ذلك صناعة النحاس. ومن أشهر الأحياء التي كانت تُمارس فيها هذه الحرفة، حي القصبة القديم وحي الكسارية وحي باب الواد وحي باب الزوار.

وبفضل هذا التبادل الثقافي والاقتصادي الواسع، أصبحت الجزائر العاصمة الهيكل الأصلي لكل ما يتعلق بصناعة النحاس في المنطقة خاصة النحاس الموروث عهد الوصاية على الجزائر[1] ، حيث تركت هذه الحرفة بصمتها العميقة على الثقافة والاقتصاد والهوية الجزائرية، وظلت مركزًا رئيسيًا لتطوير هذا الفن الراقي عبر العصور.

مدينة الجزائر العاصمة في حرفة النقش على النحاس تميزت بعدة خصائص فنية تميزها عن غيرها من المدن الجزائرية، وهذه الخصائص تعكس تاريخًا طويلًا من التطور والتأثيرات الثقافية المتنوعة.

أولاً، تتميز الجزائر العاصمة في حرفة النقش على النحاس بالتنوع والغنى في التصاميم والزخارف.

فقد تأثرت التقنيات النقشية في المدينة بالعديد من الحضارات والثقافات المتعاقبة، بما في ذلك الأندلسية والعثمانية والبربرية واليهودية...، مما أضاف تعقيدًا وتنوعًا إلى الأعمال النحاسية المنتجة.

ثانيًا، يعكس النقش النحاسي في مدينة الجزائر العاصمة التراث الفني والثقافي للمنطقة بشكل مميز. فتتميز القطع النحاسية بالرموز والزخارف التقليدية المميزة للثقافة الجزائرية، مثل الأشكال الهندسية التقليدية والنقوش الجميلة التي تعكس الفلكلور المحلي والقصص التقليدية، والكتابات كالحكم و العبر والأبيات

[1] "وزارة السياحة و الصناعة التقليدية " ، الصناعة الجزائرية التقليدية – النحاس – ،الرابط :
https://www.mta.gov.dz/الصناعة-التقليدية-الجزائرية/#el-970dee8a

الشعرية: كأبيات المتنبي التي كان يكرم بها الحرفي الداي وذلك بسبب حب الداي لأشعار المتنبي في الفترة العثمانية.

ثالثًا، تبرز في النقش النحاسي في مدينة الجزائر العاصمة استخدام التقنيات المتقدمة والدقيقة، مما يجعل الأعمال النحاسية المنتجة ذات جودة عالية وجمالية رفيعة. ويعكس هذا الجانب من الحرفية النحاسية تطور الصناعة والحرف في المدينة عبر العصور. أما بالنسبة لأشهر القطع النحاسية في مدينة الجزائر العاصمة، فإنها تتضمن مجموعة واسعة من القطع التي تعكس تنوع الفنون والحرف في المنطقة. من بين القطع النحاسية الشهيرة في المدينة يمكن ذكر الصواني والأواني الزخرفية، والمصابيح النحاسية، والأقداح والجرار، والمرايا النحاسية، وغيرها فمن أعرق القطع التي آلت بالزوال ولم يبقى منها سوى قطعتين فقط في الجزائر هي "المرق": عبارة عن قطعة شبيهة بالدلو، تتكون من طبقات تضع فيها النساء زينتهن عند للدخول للحمام إذ تعود أصولها للفترة العثمانية [1].

تعتبر هذه القطع من تحف الفن النحاسي وتجسد ثراء التقاليد الحرفية في مدينة الجزائر العاصمة.

صورة2 المرق" القطعة النحاسية التي تضع فيها المرأة زنتها عند دخولها للحمام ذات الاصول العثمانية

اخذت الصورة من فيديو يوتيوب: https://www.youtube.com/watch?v=Gzk5uOL7Lu8&t=56s

[1] " تعرفوا على حرفة النحاس المنتشرة عبر أزقة القصبة في العاصمة"، روبورتاج مصطفى تادريست من قناة الشروق، الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=Gzk5uOL7Lu8&t=56s

مدينة قسنطينة: قسنطينة، مدينة الأساطير والتاريخ، تتلألأ في شرق الجزائر كجوهرة نادرة على صخرة من الكلس القاسي، تشكل مدينتها القديمة لوحة فنية تعكس عراقة الزمن وجمال الطبيعة في آن واحد. تحاط قسنطينة بأكثر من ثمانية جسور، تعتبر بين ضفافها كأوتار تاريخية ترتبط بأرواح الماضي وروح الحاضر.

خريطة1 : خريطة مدينة قسنطينة

اخذت من موقع :

https://www.marefa.org/%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A9_%D9%82%D8%B3%D9%86%D8%B7%D9%8A%D9%86%D8%A9

تأسر الجسور المعلقة أفق المدينة بسحرها، تروي قصص العصور القديمة وتعكس روح الصمود والتحدي في وجه عواصف الزمن. فكل جسر يحمل ماضٍ متراكماً من تجارب وتحديات، وكل انقضاء لهذه التحف الهندسية يخلف بصمة تاريخية تتلاشى مع مرور الزمن.

صورة3 : مدينة قسنطينة

اخذت هذه الصورة من موقع :https://www.urtrips.com/where-is-constantine/

إن مدينة الجسور المعلقة تحتضن في أحضانها ثروات تاريخية لا تضاهى، تجمع بين ماضٍ ثري وحاضرٍ مزدهر، فهي ليست مجرد مدينة، بل متحفٌ حي يروي قصة حضارة عريقة وتطور حضاري استثنائي.[1] فعبر عتبات الزمن، شهدت قدوم حضارات عديدة تركت بصماتها العميقة في أرضها الخصبة. منذ آلاف السنين قبل الميلاد، عاش سكانها في كهوفها الطبيعية وتحولوا في مغامراتها البرية على جوانبها الشاهقة، وعلى ضفاف واديها الخصب وبجوار بحيرتها القديمة، ازدهرت حضارات قديمة تعبق بالتاريخ والحكايات. فتحفرت على جدران الصخور رسومٌ تحكي قصص الأجداد وتستحضر أروع اللحظات التي

[1] طرشي أحلام صابرينة، المرجع السابق ، ص14

مرت بها المنطقة. وفي ظل الأراضي الخصبة، عثر على أدوات حجرية قديمة ترجع إلى زمن بعيد، تحمل في طياتها حكايا التاريخ ومسارات البشرية عبر العصور.[1]

فمن أبرز هذه الحضارات التي مرت بها الأمازيغ، فبقدومهم بدأ تاريخ المدينة، فأصبحت واحةً للتعدد والتنوع، حاملةً أسماءً عديدة تليق بتاريخها المتنوع والمتشعب. ففي عهد الفينيقيين، أطلقوا عليها اسم "سرتا"، ما يعني القرية، لتعكس بساطة وجمال الحياة في تلك الفترة. أما في زمن القرطاجيين، فقد انتقلت إلى تسمية "ساريم باتيم"، حيث أصبحت شاهدةً على تراث وثقافة هذه الحضارة العريقة. ولم تتوقف الحكاية هنا، بل مرت المدينة بفترات متعددة من الازدهار والتغيير، حيث تركت الحضارة الرومانية والوندالية بصماتها العميقة...، لتختم الحكاية بتوقيع الحضارة الإسلامية، التي منحتها الرونق والنشوة الدائمة. [2]

منذ العصور الوسطى، عرفت الجزائر بوجودها النحاسي، ومن بين المناطق التي اشتهرت فيها صناعة النحاس برزت مدينة قسنطينة بفخرها. لقد شهدت هذه المدينة منذ مئات السنين تعاقب الأساليب والتقنيات في صناعة النحاس، حيث كانت مملوءة بصخب المطارق التي تدق فوق النحاس، ولكن رغم ذلك، لم تكن المنتجات النحاسية مفتوحة على الجماليات بشكل كبير. في عهد الحكم التركي في الجزائر، نظم الأتراك اتحاد النحاسين، مما أدى إلى تطور ملحوظ في هذه الصناعة. أنشأوا أحياءً كاملة مخصصة للحرف، ومن بينها حرفة النحاسة، حتى أصبحت هذه الأحياء تعرف باسم "زنقة النحاس"، حيث كانت تزدحم بالنحاسين الذين يعملون بجد واجتهاد. كانت تحتضن القصبات مصنوعات جميلة مثل الأواني المزخرفة بالزخارف النباتية، والأطباق، والصحون الكبيرة الحجم، وكلها كانت منقوشة بدقة و إتقان .

[1] محمد الهادي العروق ، مدينة قسنطينة ، دراسة جغرافية العمران ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص44 (بتصرف)

[2] طرشي أحلام صابرينة، المرجع السابق ، ص15

وبرع الحرفيون القسنطينيون في صناعة أباريق الأحواض التقليدية، التي كانت تستخدم في غسل الأيدي قبل وبعد تناول الطعام، حيث تميزت بتنوع أشكال زخرفتها ودقة صناعتها، مما جعلها تحمل بصمة فنية لا تضاهى[1].

زيادة على ذلك تشتهر قسنطينة بصناعة الأدوات الخاصة بالحمام كالطاسة، المحبس ومرش والأدوات المطبخية كأباريق الشاي، السوكرية والسينيات بمختلف الاحجام. كما تعرف قسنطينة بتقطير الورد بحيث تستعمل القطارة المصنوعة من النحاس لتقطير الورد.[2]

صورة 4 : قطارة الورد المصنوعة من النحاس

اخذت الصورة من الموقع :https://www.el-massa.com/dz

[1] طرشي أحلام صابرينة، المرجع السابق ، ص70

[2] "وزارة السياحة و الصناعة التقليدية " ، الصناعة الجزائرية التقليدية – النحاس – ،الرابط : https://www.mta.gov.dz/الصناعة-التقليدية-الجزائرية#el-970dee8a/

منذ القدم، تتألق قسنطينة بفن صناعة النحاس المزخرف، حيث يعتبر هذا الفن جزءًا لا يتجزأ من تراثها العريق، ولم يكن له حدود مع انتشار الحضارة العثمانية. وقد تفرد الفنانون الجزائريون في هذا المجال. ببراعة لامعة، قام الفنانون بنقش الرسوم الهندسية الإسلامية الرائعة على سطح هذه الأواني، مما أضفى عليها جمالًا ورونقًا فريدًا. ولم يكتفوا بذلك، بل استخدموا التطعيم بالفضة والذهب لإضافة لمسة من الفخامة والرفاهية إلى تلك القطع.

ومن خلال استخدام إبداعي للطرق والحرق والنقش والتطعيم، تجسدت المهارة والابتكار في صناعة النحاس في قسنطينة.[1] فقد أبدع الحرفيون في تطوير وسائلهم وتقنياتهم اليدوية لتحقيق أعمال فنية لا تضاهى، مما جعل الحرف الجزائرية تتألق بألوانها الزاهية وأشكالها الرائعة في عالم الفن والحرف.

صورة 5 : تقنية الطريق على النحاس

اخذت هذه الصورة من موقع: https://www.mta.gov.dz/الصناعة-التقليدية-الجزائرية/#el-970dee8a

[1] طرشي أحلام صابرينة ،المرجع السابق ، ص 63

المبحث الثاني: النقش على النحاس في تلمسان

المطلب الأول: تاريخ مدرسة تلمسان في النقش على النحاس

تلمسان زينة البلدان ماها وهواها وتلحيفة نساها ما تنصاب في حتى مكان، تلمسان يا الجوهرة تلمسان يا المشهورة ...فالرسوم والكتب مذكورة ...بين الجبال مستورة زيد لسوار بيك دايره...هكذا تغنى بها كل من زارها أو سكنها فأصبح عاشقا ولهان لجمالها الفتان.

تعتلي مدينةُ تلمسانَ عرشَها على سفوحِ جبالِ التضاريسِ في غربِ الجزائرِ، والمحاطة بأسوار عتيقة حاملةً على عاتقِها عبقَ التاريخِ وحضاراتٍ عريقةٍ تعاقبتْ على أرضها، تاركةً وراءها إرثًا ثقافيًا وفنيًا غنيًا جعلها تُعرفُ بـ "جوهرة شمال أفريقيا" و"لؤلؤة المغرب العربي" و"غرناطة أفريقيا". ووصفَها الأديبُ الفرنسيّ "جورج مارسي" بـ "مدينة الفنّ والتاريخ"، وذلك لِما تتمتعُ به من ثراءٍ ثقافيٍّ وفنيٍّ لا مثيلَ له. فمنذ فجرِ التاريخِ، اتّخذتْ تلمسان موقعًا استراتيجيًا هامًا جعلها محطّةً لِكثيرٍ من الحضاراتِ التي أثرتْ في ثقافتها وفنّها وحرفها وصنائعها كالحضارة الاندلسية فبفضل تأثير هذه الحضارة الراقية، أصبحت مدينة تلمسان مصدرًا للإلهام والتأثير على العديد من الشعوب، خاصةً تلك التي كانت قريبة جدًا منها جغرافيًا. فقد كانت الأندلس، في ذلك الزمان، مركزًا للتقدم الثقافي والصناعي والعلمي، مما جعلها مصدرًا للإلهام والتأثير على المناطق المجاورة، بما في ذلك منطقة المغرب العربي، فتمثل مدينة تلمسان نموذجًا حيًا لهذا التأثير حيث ظهرت الروح الأندلسية واضحة في جدرانها وثقافتها وحياتها اليومية. ففي القرن العاشر الميلادي، عرفت تلمسان ببناء مساجد فخمة وإقامة أسواق عامة نابضة بالحياة، مما أسهم في ازدهار التجارة وتطور الحرف والصناعات.[1] وعلاوة على ذلك، يُذكر أنه في القرن الرابع عشر، وتحديداً في عهد الزيانيين، شهدت الجزائر ازدهاراً في صناعة المعادن، حيث أُنشئت العديد من الورشات المتخصصة في معالجة الحديد (و مصانع

[1] محمد خالدي ، لغة النقش على المصنوعات النحاسية دراسة لغوية وصفية، الأثر- مجلة الآداب واللغات-جامعة قاصي مرباح – ورقلة -الجزائر، العدد الثامن، ماي 2009.

لسبك النحاس و المعادن الأخرى ،وهذا ما يفند ادعاء البعض من أن صهر النحاس لم يكن في يوم ما مزدهرا ،و الشيء المؤكد حقا هو أن صناعة النحاسيات كانت متداولة في المجتمع و تكفي لتلبية حاجيات السكان ذاتيا).[1] وفي الفترة ما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر، مع لجوء الأندلسيين إلى شمال إفريقيا، جلبوا معهم خبراتهم وبراعتهم الإبداعية، مما أسهم في إثراء الحرف المحلية بمهارات وفنون جديدة . هذا المزيج الفريد من التأثيرات الإسبانية-الموريسكية والمعرفة المحلية أفرز فناً متميزاً ونادراً، حيث تجلت المهارات الحرفية والفنية في الجزائر بشكل استثنائي. وفي عهد العثمانيين، شهدت تلمسان تقدماً ملحوظاً لا يمكن إنكاره في مختلف ميادين الصناعات الحرفية.

فقد ازدهرت تلمسان وأصبحت مركزاً للإبداع والتطور في العديد من المجالات الحرفية، حيث تألقت بورشات الصناعات اليدوية والنقش على المعادن، مما جعلها تشع كواحدة من أبرز المدن الحرفية في تاريخ الجزائر. هذا التقدم الكبير كان ثمرةً لتلاقح الثقافات وتراكم الخبرات عبر العصور، مما أعطى تلمسان مكانتها البارزة في عالم الحرف والفنون. فموقع تلمسان الجغرافي هو ايضا جعلها تلعب دورا اقتصاديا هاما منذ العصور القديمة الى القرن التاسع عشر كونها تقع بين مفترق الطرق الرابطة بين الشمال والجنوب.

فميناءا هنين ووهران كانا المداخل الرئيسية للسلع الفاخرة من "إيطاليا "و"أليريا"، حيث كانت هذه السلع تصل إلى تلمسان لتخزينها وتوزيعها إلى باقي مدن المغرب العربي. كما كانت تلمسان نقطة توزيع رئيسية أيضًا للبضائع المتجهة جنوبًا نحو "سيجيلماسا "ومملكة المالي، حيث كانت تصل إليها السلع مثل: مسحوق الذهب والعاج والجلود وريش النعام، جراء هذا التبادل التجاري الحيوي.

وكان سوق القيصارية المزدهر مركزًا للاجتماع بين التجار، الذين كانوا يجدون في تلمسان الاستقبال الأكثر حفاوة. ولم تكن تلمسان مجرد سوق لتبادل السلع، بل كانت أيضًا مركزًا للصناعات، خاصة في مجال النقش على النحاس، حيث اشتهرت المدينة بمهاراتها وحرفيتها في هذا المجال، مما جعلها تزدهر اقتصاديًا

[1] شريفة طيان ساحد، نحاسيات تلمسان في العهد العثماني، (القرنان 13-12 هـ / 19-18 م)، ص7

وثقافيًا وفنيًا على مر العصور. فتناقل الرحالة والمؤرخون الذين عاشوا أو زاروا هذه المدينة العريقة تاريخها وفنونها وصنائعها، فوفقًا لدراسات "لوسيان قولفان" المتخصصة في الحرف أفريقيا، فإن صناعة النحاس شهدت ازدهارًا كبيرًا في المدن الكبرى مثل تلمسان. وقد أشار قولفان إلى أن تلمسان، بفضل موقعها الاستراتيجي وتاريخها العريق، أصبحت مركزًا للحرف والصناعات اليدوية، وخاصة صناعة النحاس.

هذا الازدهار لم يكن وليد الصدفة، بل نتج عن عدة عوامل منها توفر المواد الخام، الخبرات المتراكمة عبر العصور، والتبادل الثقافي والتجاري بين تلمسان والمدن الأخرى. فقد كانت تلمسان نقطة للتجار والحرفيين الذين جلبوا معهم تقنيات وأساليب جديدة في صناعة النحاس، مما ساهم في تطور وابتكار هذه الحرفة

بالإضافة إلى ذلك، كانت الأواني النحاسية جزءًا أساسيًا من الحياة اليومية لسكان تلمسان، للاستخدام المنزلي أو لأغراض الزينة. هذا الطلب المستمر على المنتجات النحاسية ساعد على بقاء واستمرار هذه الحرفة وتطويرها عبر الأجيال..[1]

(أما الرحالة حسن الوازان فزار المدينة في سنة 923هـ/1517م، فقال: «...إن جميع الصنائع والتجارات في تلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة، وينقسم جميع أهل تلمسان إلى أربع طبقات: الصناع والتجار والطلبة والجنود. فالتجار أناس منصفون مخلصون جدا وأمناء في تجارتهم يحرصون على ان تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه. اهم أسفارهم التجارية لبلاد السودان ...والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحبون التمتع بالحياة ...، فأينما وجهت نظرك رأيتالتجار والصناع...») [2]

[1] النحاس «بين الفن والتقاليد «الحياة اليومية في تلمسان la vie quotidinne a tlemcen، معرض منظم في ايطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، وزارة الثقافة والفنون، ص ص70-69

[2] حسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي 1983، ص ص19-21

المطلب الثاني: الخصائص الفنية لمدرسة مدينة تلمسان

تعتبر الصناعات النحاسية في تلمسان علامة مميزة تبرز العبقرية الفنية لهذه المنطقة، حيث تميزت هذه الصناعات بالتأثر بالفنون العريقة الأندلسية والمشرقية على حد سواء. تعد هذه الصناعات خلاصة لتفاعل مدرستين مختلفتين، ومع ذلك، يظهر التأثر بالطابع الأندلسي بشكل واضح وجلي على فن صناعة النحاس في تلمسان. أدى هذا التفاعل إلى ظهور أسلوب فريد ومميز على يد مجموعة من الحرفيين التلمسانيين، الذين استطاعوا بفضل مهاراتهم وتقنياتهم الفريدة أن يؤسسوا لأسلوب مستقل ومبتكر في مجال صناعة النحاس.

تميز الحرفيون التلمسانيون بطرقهم المغايرة في العمل على النحاس، مثل استخدام أزميل حاد لنجر النحاس بدلاً من الضرب التقليدي. بفضل هذه الأساليب المبتكرة، تطورت مدرسة تلمسانية في فن صناعة الأواني والتحف النحاسية. وقد ازدهرت الصناعات النحاسية في تلمسان في بيئة غنية بالنشاطات الحرفية، حيث وجدت كل المنتجات النحاسية، سواء كانت أواني أو تحف، طريقها إلى التميز بفضل الفن الزخرفي الدقيق الذي انتشر في ذلك الوقت ولا يزال يمارس حتى اليوم. إن الدقة المتناهية في الزخرفة أضفت على المنتجات النحاسية شكل تحف فنية رائعة وساحرة.

تشمل الأواني النحاسية التي تميزت بها تلمسان المصابيح المركزة والشمعدانات. تتميز هذه القطع بكونها مربعة الشكل ويعلوها هرم مزخرف بزجاجية ومطرقة، مما يسمح بتركيبها ووضعها على الشمعدان. كما أن الأواني النحاسية التلمسانية تمتاز بالنقش الرقيق والمنحوت، وهو ما يعرف بفن الأرابيسك. إضافة إلى ذلك، أنتج حرفيو النحاس في تلمسان ساندات الكتب التي تستخدم كقطع زخرفية في المنازل. تجسد هذه الساندات الأيام الذهبية لتلمسان، التي شهدت أوج عزها ورقيها حينما جعلها الزيانيون عاصمة لهم وتوافد عليها العلماء وطلاب العلم. كانت ساندات الكتب حاضرة في أماكن طلب العلم ومنازل العلماء، حيث كان جانبها العلوي مفيداً لاحتواء الكتاب دون أن يكون القارئ مضطراً لحمله.

من بين أشهر صناع النحاس في تلمسان، برعوا في إنجاز المقارع أو"الطبطبات"، وهي قطع نحاسية تعلق على أبواب المنازل والبنايات وتستخدم للدق على الأبواب. تتخذ هذه المقارع أشكالاً تشبه تلك الموجودة في اللباس التقليدي التلمساني الذي ترتديه العرائس في حفلات الزفاف. يمكن القول إن تلمسان كانت دائماً مركزاً حرفياً تقليدياً نشطاً وفعّالاً بفضل يد عاملة ماهرة ومتخصصة. [1]

صورة6 :مطرقة من البرونز تسمى الطبطابة عند«التلمسانيين» صنع الحرفي بن قلفاط، نهاية القرن 19 م

صورة ملتقطة من طرف الطابة من كتاب الحياة اليومية في تلمسان la vie quotidinne a tlemcen، معرض منظم في ايطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، وزارة الثقافة والفنون

[1] محمد خالدي، لغة النقش على المصنوعات النحاسية دراسة لغوية وصفية، الأثر مجلة الادب واللغات جامعة قاصدي مرباح–ورقلة–الجزائر، العدد الثامن، ماي ،2009، ص ص118–119

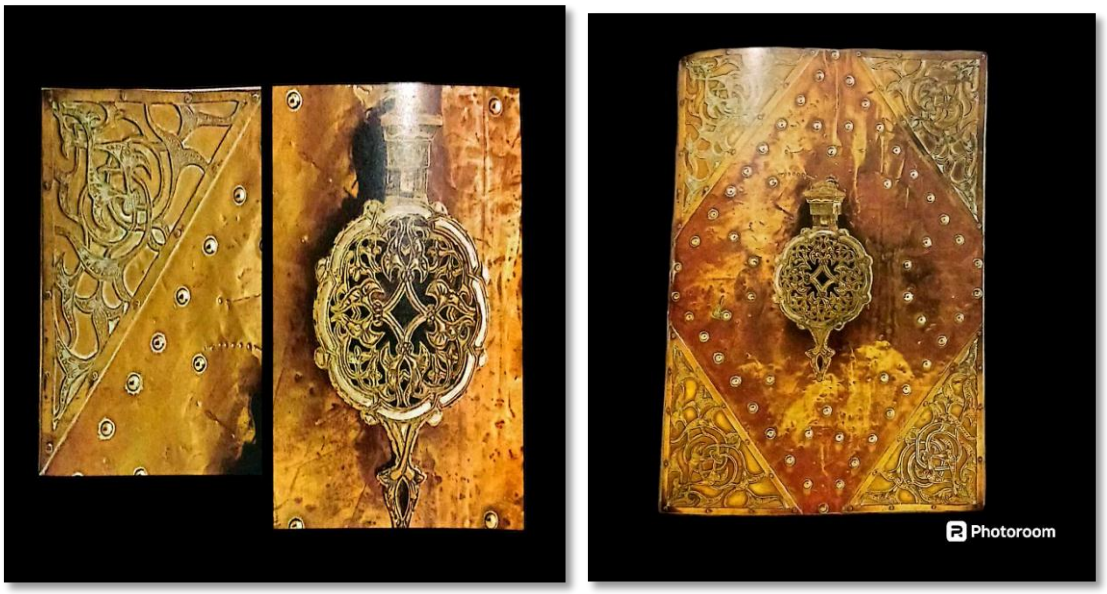

صورة7 : مطرقة من البرونز تزن1 كلغ 600 غ، صنع الحرفي بن قلفاط، نهاية القرن 19 م

صورة ملتقطة من طرف الطابة من كتاب الحياة اليومية في تلمسان la vie quotidinne a tlemcen، معرض منظم في ايطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، وزارة الثقافة والفنون

تعتبر مدينة تلمسان أحد المراكز الهامة للصناعة النحاسية، حيث تميزت بصناعة الثريات وحوامل المصابيح، بالإضافة إلى صنع أشكال متنوعة من الأواني التي استخدمتها مدينتي الجزائر وقسنطينة. غير أن منتجات تلمسان تختلف عن نظيرتها في الجزائر وقسنطينة من حيث الموضوعات الزخرفية، التي حافظت فيها على العناصر الزخرفية الأندلسية والمغربية معاً.[1] وحسب الكاتب س. قزال، فقد تم إنجاز مطارق أبواب من البرونز في تلمسان حتى عام 1930، مستوحاة من الفن الأندلسي.

عُرفت الحرف التلمسانية أيضاً بصناعة مصابيح الإضاءة مثل الفوانيس، ولم يمنعهم ذلك من تصميم أعمال أخرى متنوعة الأهمية كالفوانيس وأواني الحمام والأواني المطبخية (السينيات، الأباريق...)

[1] شريفة طيان ساحد ، نحاسيات تلمسان في العهد العثماني، (القرنان 13-12 هـ / 19-18 م)، ص7

أصبحت هذه المنتجات رمزاً يُعرض عند حضور الضيوف، حيث تجتمع حولها الأسرة والأصدقاء لتناول وجبات الفطور أو شرب القهوة في مختلف أوقات اليوم.

يعتمد الزخرف الذي يستخدمه النحاس التلمساني على فن الأرابيسك، وهو فن ينحدر من نمط سام وأصيل ويحتوي على ترصيع نقي يتكون من عناصر نباتية وزهرية متشابكة. تكون هذه الزخارف في بعض الأحيان مرصعة بخطوط هندسية تتكون من تراكيب غير محدودة ودون نهاية، غالباً ما تكون متكررة. يمكن القول إن الزخارف التي تظهر على النحاس تعيدنا إلى الزخارف الهندسية الموجودة على المآذن الدينية لمدينة تلمسان،[1] فلا زالت تحتفظ بعض التحف الأثرية الموجودة حالياً في متحف تلمسان، وكذلك في بعض مساجد ومنازل المدينة، بالطابع المميز والنمط التلمساني الأندلسي. من بين هذه التحف، تبرز أبواب مساجد تلمسان وثريات الجامع الكبير وغيرها، والتي تظهر من خلال النقش عليها علامات التأثر الواضحة. لقد استمر الفنانون التلمسانيون في استلهام الصور والرسومات والزخارف المستمدة من الطبيعة الأندلسية الخلابة والفتانة، مما يجعل تحفهم تتميز بنقوش الأزهار والورود والأشجار، وكل ما تميزت به طبيعة الأندلس الساحرة، والتي يشابه مناخها مناخ منطقة تلمسان.[2]

[1] النحاس «بين الفن والتقاليد «الحياة اليومية في تلمسان la vie quotidinne à tlemcen، ص 70

[2] بوحسون العربي، الحرف والصناعات التقليدية في مدينة تلمسان "مقاربة تاريخية وأنثروبولوجية واقتصادية "، دورية كان التاريخية (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تلمسان)، العدد الخامس والثلاثون (مارس 2017)، د م ج، علمية. عامية. محكمة. ربع سنوية، ص132

ملخص الفصل:

تتمتع الجزائر بتاريخ طويل ومتميز في حرفة النقش على النحاس، حيث تأثرت عبر العصور بالعديد من الحضارات التي مرت بها، مثل الفينيقيين، والرومان، والعرب، والأتراك، والفرنسيين. كل من هذه الحضارات أسهمت في تطوير الفنون والحرف التقليدية في البلاد، بما في ذلك حرفة النقش على النحاس. تعتبر مدينة تلمسان من أبرز المراكز التي تألقت في هذا المجال، حيث استفادت من تأثير الفنون الأندلسية والمشرقية. تميزت تلمسان بأساليبها الفنية الدقيقة والزخارف المعقدة التي أضفت لمسة جمالية خاصة على المنتجات النحاسية .

إلى جانب تلمسان، توجد مدارس أخرى للنقش على النحاس في مدن مثل الجزائر العاصمة، وقسنطينة، ولكل منها خصائصها الفنية المميزة. ومع ذلك فإن مدرسة تلمسان تظل الأكثر بروزًا بفضل تقنيات التطريق والتطعيم المتطورة، مما جعل منتجاتها تتميز بجودة عالية وتفرد واضح. انتشرت الأواني المزخرفة والصواني و التحف المصنوعة في تلمسان ليس فقط في الجزائر، بل وصلت إلى مختلف أرجاء العالم، مما يعكس غنى التراث الثقافي والفني لهذه المدينة العريقة.

الفصل الثالث:

رواد فن النقش على

المبحث الأول: مجتمع صناعة النحاس في تلمسان

المطلب الأول: ورشات النحاس في تلمسان

تُعد مدينة تلمسان مثالاً حيّاً على التراث العريق والعمق الحضاري، ويظهر ذلك جلياً في تنوع الأنشطة الحرفية التي تزدهر بها حتى اليوم. كان يُميز الأحياء والأزقة وسط المدينة احتضانها لمختلف الحرف والمهن وكانت لهذه الحرف وظائف اجتماعية وثقافية واقتصادية متنوعة، تشمل التواصل والتقارب الاجتماعي، والتزاوج، والتعليم، ونقل المهارات، والتجارة. هذا النظام الاجتماعي، الذي لا يزال يُمارس في تلمسان اليوم، هو امتداد لجذور تاريخية وحرفية تعود إلى العهد الزياني وما قبله.[1] كانت الحرف تقليدًا راسخًا لدى العديد من العائلات التلمسانية الزيانية، تتوارثها جيلاً بعد جيل، متمسكة بأصالة الصنعة وتقنياتها حرصًا على بقاء هذه المهارات حية ومتوارثة. كان المثل الشعبي "صنعة ولدك ولو كان حشاش أو صنعة بوك لا يغلبوك" يعبر عن هذا التمسك العميق بالحرف. كان الآباء يولون أهمية كبيرة لتدريب أبنائهم على أصول الحرفة وأسرارها، ويعتبرون ذلك جزءًا من مسؤولياتهم تجاه الحفاظ على التراث العائلي. ولعل مهمة تعليم الحرف كانت توكل إلى أصحاب الورشات أو "لمعلمين"، الذين كانوا يتكفلون بتكوين الحرفيين وتعليمهم آليات الصنعة. عند قبول المعلم لتلميذ مبتدئ في ورشته، كان التلميذ يلتزم بفترة تدريب تستمر لمدة معينة، حتى يتقن الحرفة بمهاراتها ويتحمل مشاق التدريب، مما يضمن استمرارية هذه التقاليد الحرفية الأصيلة وانتقالها عبر الأجيال.[2] تظل الصناعات التقليدية التي تزخر بها أزقة المدينة شاهداً على هذا التراث العريق والمخزون الثقافي الذي تستخدمه المجتمعات للحفاظ على خصوصياتها الثقافية والاجتماعية في مواجهة المؤثرات الخارجية. اذ لا يزال كبار السن من السكان يحتفظون بذكريات حية عن تلك الأيام،

[1] بوحسون العربي، الحرف والصناعات التقليدية في مدينة تلمسان "مقاربة تاريخية وأنثروبولوجية واقتصادية "، ص132

[2] لخضر العربي، الحرف وتنظيماتها في مدينة تلمسان الزيانية، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، د م ج، العدد الرابع، جوان 2013، منشورات جامعة معسكر، الرشاد للطباعة والنشر/سيدي بلعباس/الجزائر، ص ص 311-333

ويعرفون بدقة مواقع جلوس الحرفيين وأماكن ورشاتهم، فوفقًا لما يرويه لنا أجدادنا عن ماضي مدينة تلمسان ان شوارعها كانت في فترة ازدهار الصناعة الحرفية تُعرف بأسماء الحرفيين الذين يعملون فيها، ولا تزال بعض الأزقة والممرات تحتفظ بهذه الأسماء حتى اليوم. كانت المدينة مقسمة إلى شوارع حرفية رئيسية مثل درب الصباغين وشارع الصياغين ودرب الحجامين وشارع الحدادين ودار الدباغ والدرازين والبلاغجية والخرازين. كان للنشاط الحرفي دور كبير في تحديد جغرافية بعض أحياء المدينة، ولا تزال بعض الأماكن تحمل أسماء الحرف التي كانت تُمارس فيها أو كانت مسرحاً لأسواقها حيث تُباع المنتجات والمواد الأولية وأدوات الإنتاج.

إذ تم تصميم الحي التجاري الحرفي في تلمسان بشكل متشابك من الدروب الضيقة، حيث توجد دكاكين لعرض البضائع وحوانيت للإنتاج الحرفي. ما يلفت الانتباه هو أن معظم المباني تحتوي على طابق علوي يشغله حرفيون يحرصون على الحفاظ على أسرار مهنهم. قُسمت المدينة إلى ثلاثة أحياء رئيسية من المركز إلى السور المحيط بها، حيث تم نقل بعض ورشات الصناعات الحرفية المزعجة بروائحها وغبارها وضجيجها إلى خارج المدينة لتجنب أضرارها على السكان. من بين هذه الحرف كانت الصباغة بسبب روائحها الكريهة، وصناعة مواد البناء كالأخشاب والقصب والجير، وحرفة النحاسيين نظراً لضجيج الطرق على الصفائح النحاسية.

بالرغم من اختفاء النشاطات الحرفية وتحول النشاطات التقليدية إلى أنشطة أخرى، لا تزال أسماء هذه الأزقة تُذكر بالحرف التي كانت تُمارس فيها، مثل درب الدباغين ودرب الفخارين ودرب الصبانين وسوق الغزل.[1] على سبيل المثال، يُطلق على بعض شوارع تلمسان أسماء مثل "النحاسين" أو "الصفارين"إشارة إلى الحرفيين الذين كانوا يُصفّرون الأواني النحاسية، ونسبة إلى لون النحاس الأصفر الذي كان يُستخدم بكثرة في تلمسان.

[1] بوحسون العربي، الحرف والصناعات التقليدية في مدينة تلمسان "مقاربة تاريخية وأنثروبولوجية واقتصادية "، ص135-134.

يقع حي الصفارين في تلمسان في منطقة "حومة باب زير" كما هو موضح في الخريطة "رقم2"،[1] وكان يُعتبر قلب النشاط الحرفي والصناعي في المدينة. كانت الأزقة هناك تعج بالحرفيين الذين يمارسون فنونهم بإتقان وإبداع، مما يجعل حي الصفارين مكاناً مميزاً يعكس تراث تلمسان العريق وروحها الحرفية الأصيلة. هذا التراث الحرفي لم يكن مجرد نشاط اقتصادي، بل كان جزءاً من النسيج الاجتماعي والثقافي للمدينة، مما أضفى على تلمسان طابعاً فريداً يستمر في التأثير على هوية المدينة حتى اليوم.

الخريطة 2 : خريطة أحياء تلمسان

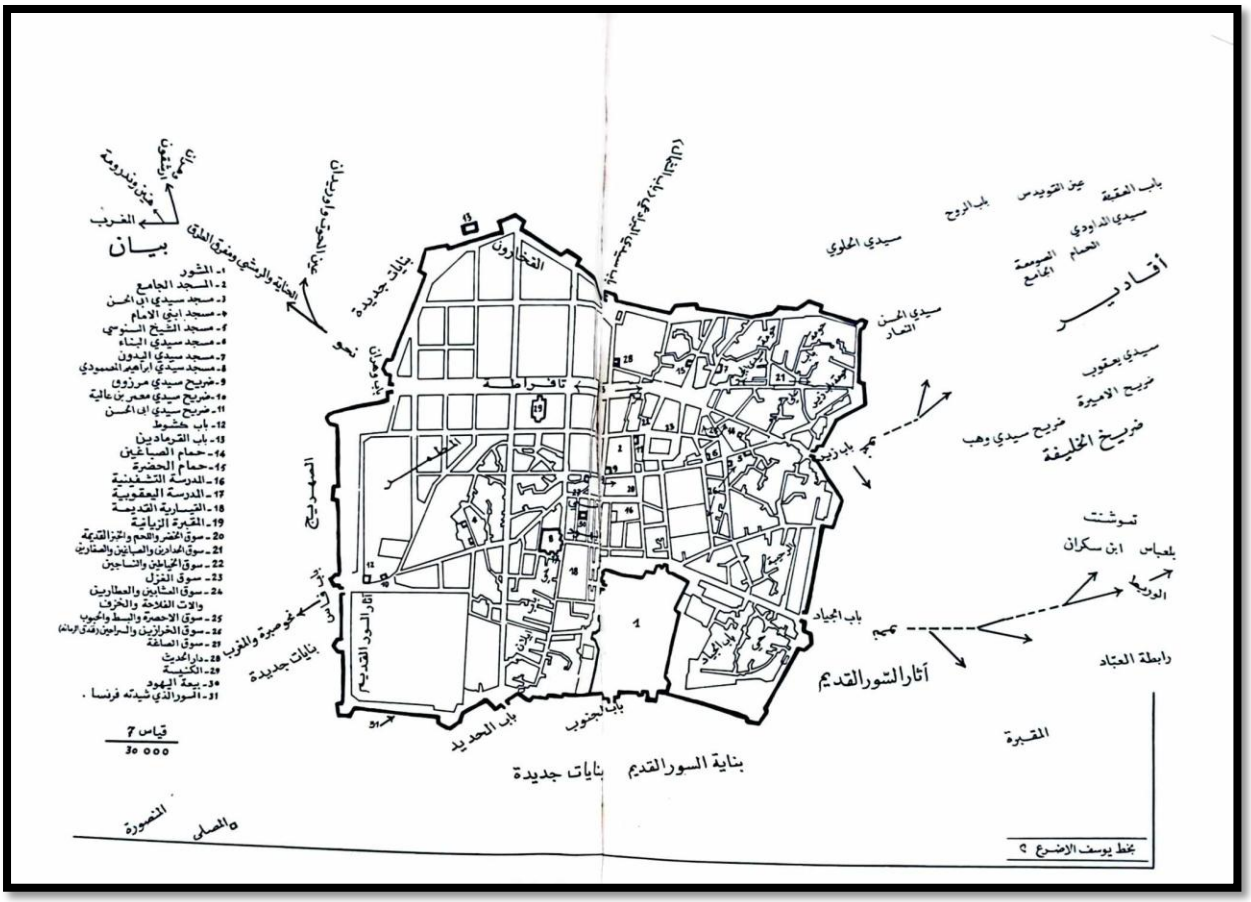

الصورة ملتقطة من طرف الطالبة من كتاب تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص324 .

[1] محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص324 .

فبعد سماعنا ما سبق قادنا الفضول للبحث عن ورشات النحاس في تلمسان، فتحولت المهمة إلى أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش نظراً لندرة الورشات التي لا تزال تمارس هذه الحرفة. فجل الحرفيين قد تركوا هذه الصنعة وغيروا مهنهم لعدم إقبال الناس عليها. ولحسن حظنا، وجدنا آخر حرفي في تلمسان، وهو لمعلم "دالي علي إسماعيل"، الذي فتح لنا أبواب ورشته واستقبلنا بكل حفاوة، مشجعاً وداعماً لنا على توثيق هذه الحرفة لأنها تمثل هوية المجتمع الجزائري عامةً والتلمساني خاصةً.

ففي ورشته، حاولنا إشباع فضولنا حول خبايا وأسرار هذا الفن الإبداعي الأصيل. فشرح لنا "لمعلم دالي " الأدوات والحركات المستخدمة في تجسيد التحف النحاسية، موضحاً الفرق بين التقنيات التلمسانية في النقش على النحاس وتقنيات المدارس الأخرى مثل قسنطينة والعاصمة.

بدأنا حديثنا مع الحرفي" دالي علي إسماعيل" عن الطابع التلمساني الفريد لهذه الحرفة، فتحدث بحماس عن تراث هذه المدينة العريقة. قال الحرفي: تتميز الصناعة النحاسية في تلمسان بطابع خاص ولون فريد. يمكن للحرفي أو المختص أن يميز بسهولة أي منتج نحاسي تلمساني بمجرد رؤيته، وينسبه مباشرة إلى المدرسة التلمسانية. فالمدرسة التلمسانية عرفت بصناعتها المتميزة للأواني النحاسية، حيث قدمت أدوات مطبخية كالصواني... لتلبية حاجيات السكان، مشابهةً بذلك لنظيراتها في الولايات الأخرى مثل قسنطينة. ومع ذلك، تميزت تلمسان بتخصصها الفريد في صناعة التحف الفنية ومستلزمات العروس.

8 صورة لثريا مصنوعة من النحاس الاصفر و الاحمر منقوشة بزخارف هندسية ونباتية من إبداع الحرفي" دالي إسماعيل" صورة ملتقطة من طرف الطالبة خلال زيارتها لورشة الحرفي

من بين هذه المستلزمات أدوات الحمام كـ"الطاسة" و"البريمة"، بالإضافة إلى صندوق مجوهرات العروس المعروف بـ"الفنيق" بين أهالي تلمسان. هذه التحف تعكس المهارة والإبداع الذي يميز الحرفيين التلمسانيين، وتجسد الروح الفنية الأصيلة التي تحملها كل قطعة. يتميز الحرفي التلمساني باستخدامه صفائح نحاسية ذات سماكة أعلى مقارنة بما هو شائع في المدن الأخرى. هذا الاختيار الدقيق للمواد يعكس التزامه بالجودة

والمتانة، حيث تتيح له الصفائح السميكة إبراز التفاصيل الدقيقة في الزخارف والنقوش، فالزخرفة على النحاس في تلمسان تعتمد على استخدام إزميل حاد (burin) وضربه بمطرقة بحرفية ودقة متناهية. [1]

صورة 9 :للحرفي" دالي علي اسماعيل" وهو ينقش صينية من النحاس باستعمال إزميل حاد ومطرقة بمرونة

صورة ملتقطة من طرف الطالبة خلال زيارتها لورشة الحرفي

فالحرفيون التلمسانيون يعتمدون على مرونة أيديهم، إذ تضرب إحدى اليدين بالمطرقة، بينما تمسك الأخرى بالإزميل بطريقة مائلة، وتتحرك بدقة وإتقان. هذه العملية المعقدة تخلق رسوماً وزخارف على الصفيحة النحاسية تبدو وكأنها تنبض بالحياة، مما يعكس الروح الفنية والبراعة الكبيرة للصنائعي التلمساني. يختلف الإنتاج في تلمسان بشكل كبير عن المناطق الأخرى، حيث تنتج كميات أقل، لكن بجودة وفنية

[1] مقابلة يوم 8 ماي 2024 ، الساعة 10:55 ، في ورشة الحرفي بغرفة الصناعة التقليدية و الحرف الحي الإداري بوهناق منصورة تلمسان ، مع الحرفي "دالي علي إسماعيل" .

أعلى. هذا التفاوت يعود إلى اختلاف طرق الزخرفة؛ ففي حين تعتمد الطرق الأخرى على الطوابع الجاهزة التي تحتوي على أشكال زخرفية. [1]

صورة 10: طوابق معدنية جاهزة تحتوي على زخارف متنوعة

صورة ملتقطة من طرف الطالبة خلال زيارتها لورشة الحرفي

يعتمد الحرفي التلمساني على خياله وتجاربه الفنية، مما يمنح القطع النحاسية التلمسانية جمالاً وتفرداً يصعب إيجاده في أي مكان آخر. بعباراته المليئة بالحماس والحب لهذه الحرفة، شبّه الحرفي التحفة النحاسية بالعروس التلمسانية التي يتم تزيينها ليلة عرسها بالملابس الفاخرة كالقفطان والجواهر كالشدّة والكحل والزينة، فزينة القطع النحاسية التلمسانية هي تلك الزخارف والنقوش التي يبتكرها الحرفي التلمساني من مخيلته ويجسدها بكل مرونة وإبداع وتأنٍ، مما يجعل كل قطعة فريدة ومتميزة.

[1] المرجع نفسه الحرفي "دالي علي إسماعيل"، نفس اليوم ،الساعة 11:20، نفس المكان .

تحسر "لمعلم دالي علي إسماعيل" على ما آلت إليه صنعة النحاس في وقتنا الحالي، بعد أن كانت في أوج ازدهارها في زمن مضى بفضل جهود أعمدة هذه الحرفة الذين نهضوا بها وطوروا تقنياتها. ومن بين هؤلاء الرواد البارزين، الحرفي العبقري "محمد بن قلفاط"، الذي ساهم بشكل كبير في إحياء وتطوير هذه الصناعة. كانت الحرفة النحاسية جزءًا لا يتجزأ من حياة العائلات التلمسانية، حيث لا تكاد تخلو عائلة من وجود حرفي ينقل هذه المهنة من جيل إلى جيل. [1]

الحرفي دالي علي إسماعيل نفسه هو أحد الأمثلة الحية على هذا التقليد العريق. فقد ورث هذه الصنعة عن خاله المعلم "يبدري مختار" الذي تتلمذ على يد العميد محمد بن قلفاط في مدرسة " école décieux "خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وهي المدرسة التي تُعرف الآن باسم مدرسة "الأبيلي، فدليلنا على ذلك الوثيقة 3.

صورة11 : الحرفي" دالي علي إسماعيل "في طفولته وهو يتعلم حرفة النحاس في ورشة خاله" الحرفي يبدري مختار"

صورة ملتقطة من طرف الطالبة خلال زيارتها لورشة الحرفي

[1] المرجع نفسه الحرفي "دالي علي إسماعيل"، نفس اليوم، الساعة 12:10، نفس المكان .

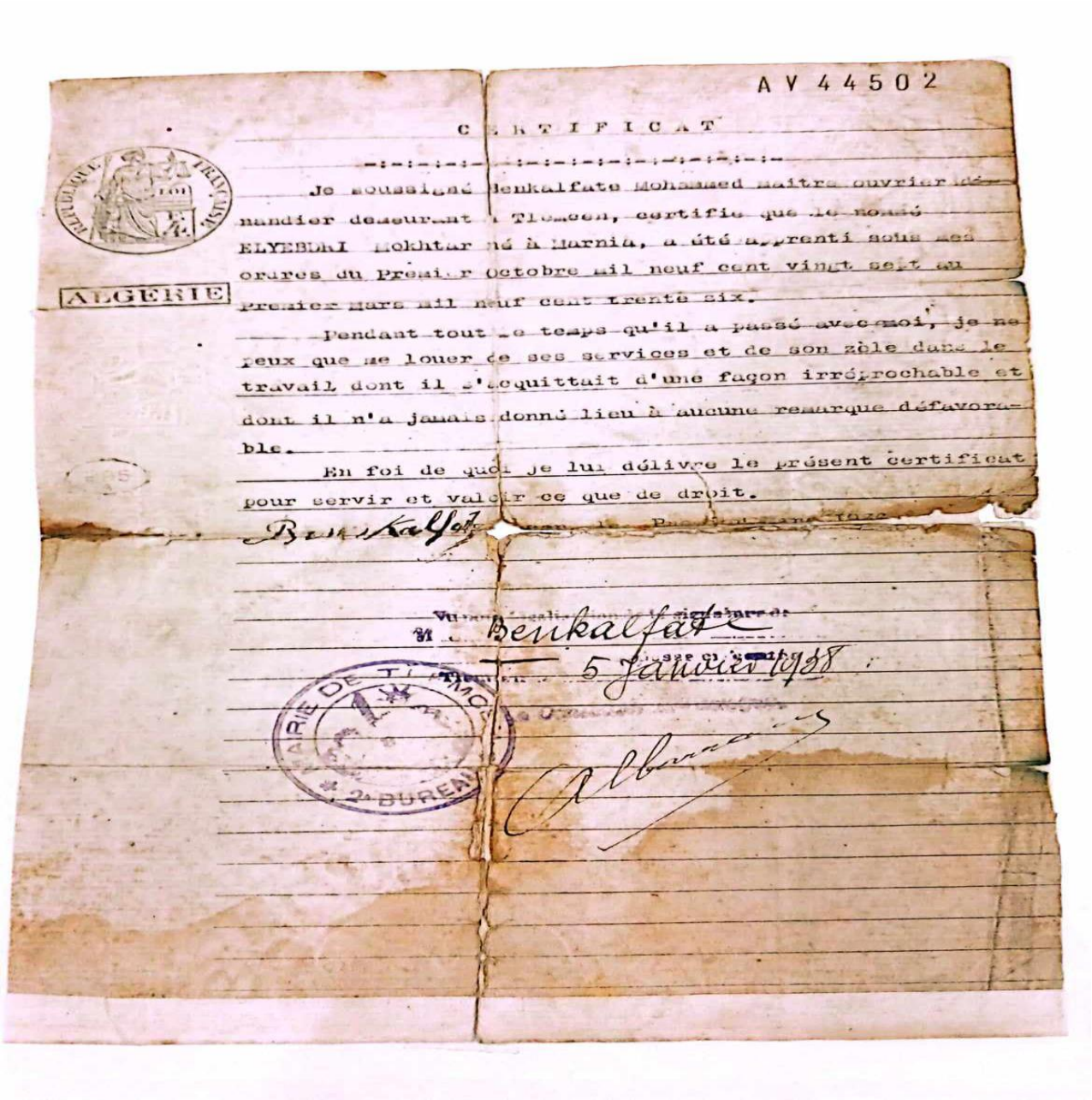

AV 44502

C E R T I F I C A T

Je soussigné Benkalfate Mohammed maitre ouvrier dinandier demeurant à Tlemcen, certifie que le nommé ELYEBDAI Mokhtar né à Marnia, a été apprenti sous mes ordres du Premier Octobre mil neuf cent vingt sept au premier Mars mil neuf cent trente six.

Pendant tout le temps qu'il a passé avec moi, je ne peux que me louer de ses services et de son zèle dans le travail dont il s'acquittait d'une façon irréprochable et dont il n'a jamais donné lieu à aucune remarque défavorable.

En foi de quoi je lui délivre le présent certificat pour servir et valoir ce que de droit.

Benkalfat

ALGERIE

Vu pour légalisation de la signature de M. Benkalfat

Tlemcen le 5 janvier 1938

MAIRIE DE TLEMCEN 2e BUREAU

وثيقة 3شهادة تبين ان الحرفي يبدري مختار تتلمذ على يد الحرفي بن قلفاط محمد في الفترة الاستعمارية الفرنسية

الصورة ملتقطة من طرف الطالبة من أرشيف الحرفي دالي علي إسماعيل في ورشته

يشعر الحرفي دالي بأسى شديد تجاه التراجع الذي تشهده صناعة النحاس اليوم. يعود هذا التراجع إلى قلة الإقبال على المنتجات النحاسية بسبب ارتفاع أسعارها، حيث يميل السكان إلى شراء المنتجات الصناعية المقلدة بأسعار أرخص. إن ارتفاع أسعار المصنوعات النحاسية يعزى إلى غلاء المادة الخام وصعوبة الحصول عليها، مما جعل الكثير من الحرفيين يهجرون هذه الصنعة ويبحثون عن أعمال أخرى لكسب قوت يومهم.

ورغم هذه الصعوبات والتحديات، يظل الحرفي دالي علي إسماعيل مجابهاً لكل العقبات، متمسكاً بمهنته الأصيلة. فقد كان يمارس صناعة النحاس في أوقات فراغه أثناء عمله في مهنة أخرى، وبعد تقاعده عاد ليكرس كل وقته ومجهوده لهذه الحرفة. إن التزامه العميق وإخلاصه يتجليان في سعيه المستمر للحفاظ على هذا التراث والتعريف به، رغم كل التحديات.

يحلم الحرفي دالي ألا يكون آخر حرفي تلمساني، ويتمنى تعليم هذه الحرفة وتوريثها للأجيال الصاعدة. إلا أن الشباب اليوم ينفرون منها بعد سماعهم عن الصعوبات والتحديات التي تواجه هذه الصناعة والحرفيين. ومع ذلك، يظل الأمل يحدوه بأن يجد من بين الشباب من يتشرب عشق هذه الحرفة ويواصل مسيرتها، أو من يدون ويوثق تاريخ هذه الصنعة الأصيلة من باحثين وكتاب وإعلاميين. إن هذا التوثيق والترويج والتعريف بهذا الموروث الثقافي ضروري لتسليط الضوء على أهمية الحرفة التي تستحق أن تبقى خالدة للأجيال القادمة.

يستشهد الحرفي دالي علي إسماعيل بالجهود البارزة للحرفي المتميز محمد بن قلفاط، الذي أعلّى شأن هذه الصناعة بفضل أسلوبه المتفرد في النقوش، والتي زين بها مدينة تلمسان. لا تزال معالم مثل ثريا الجامع الكبير وباب مسجد سيدي بومدين شعيب الغوث في أعالي العباد شاهدة على روعة وإبداع بن

قلفاط.[1] إن أعماله الفنية الرائعة تعكس مدى تفانيه واهتمامه بالحفاظ على هذا التراث الثقافي، مما يجعلها مثالاً يُحتذى به في مسيرة الحفاظ على الحرف النحاسية في تلمسان.

المطلب الثاني: سيرة محمد بن قلفاط أحد رواد هذه الصنعة

محمد بن قلفاط، المولود في تلمسان يوم 13 مارس 1864، يعد أحد أبرز أعلام الصناعات النحاسية في المغرب العربي خلال أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ابن البشير بن قلفاط وفاطمة بنت الديب، تعلم محمد الحرفة على يد والده البشير، [2]الذي ورثها بدوره من أجيال من عائلته المعروفة بأنها عائلة صائغين مرموقة. كان محمد بن قلفاط قد عمل أمينًا لهذه الحرفة قبل الاحتلال الفرنسي. فقد تميز كصائغ ماهر في الأسلحة في القرن العشرين، ومع مرور الزمن، كرست عائلة بن قلفاط حياتها لفن صناعة النحاس،[3]حيث أبدعوا في هذا المجال وأصبحوا رمزاً للإبداع والدقة .

[1] المرجع نفسه الحرفي "دالي علي إسماعيل"، نفس اليوم، الساعة 12:00، نفس المكان

[2]محادثة الكترونية على تطبيق Messenger يوم السبت 25ماي 2024 على الساعة 10:54مع حفيدة الحرفي محمد بن قلفاط السيدة و.بن قلفاط

[3] النحاس «بين الفن والتقاليد «الحياة اليومية في تلمسان la vie quotidinne à tlemcen، ص ص 16-17.

صورة 12: الحرفي محمد بن قلفاط

صورة من أرشيف عائلة بن قلفاط ملتقطة من طرف حفيدة الحرفي و. بن قلفاط

عمل محمد بن قلفاط خلال الفترة الاستعمارية كحرفي معلم في المدرسة الفرنسية " école décieux في سنة 1938، والتي تعرف حالياً بمدرسة "الأبيلي" في تلمسان. في عام 1910، حصل على براءة

اختراع لتحسين المحراث العربي، مما أضاف إلى رصيده من الابتكارات والإنجازات. وفي مارس 1936، شارك في مسابقة أفضل عامل في معرض العمل الوطني الرابع لمجموعة الصناعات التقليدية، حيث قدم عمود إنارة نحاسي مغاربي منقوش، وفاز بالمرتبة الأولى كما هو موضح في الوثيقة رقم4

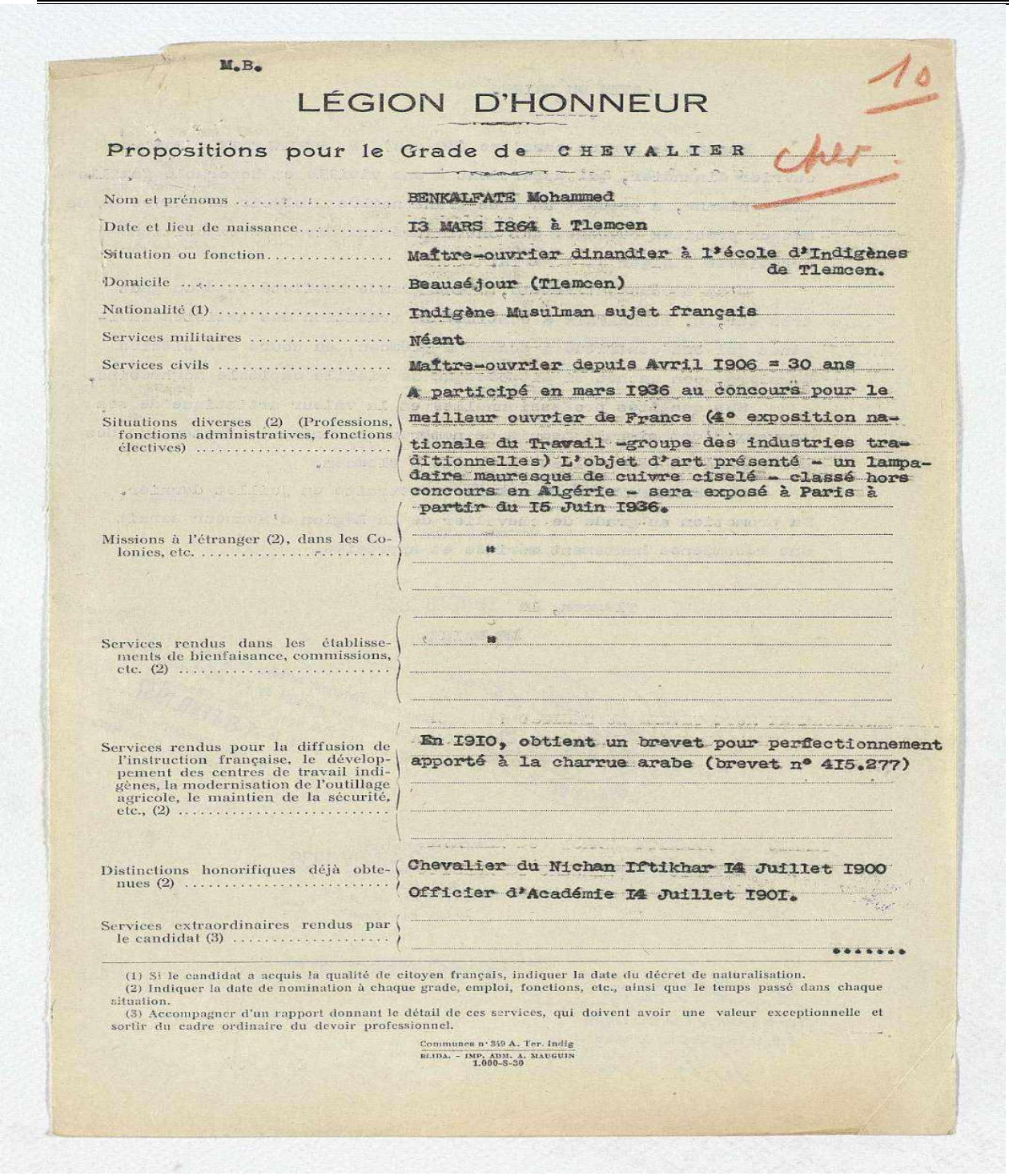

M.B.

10

LÉGION D'HONNEUR

Propositions pour le Grade de CHEVALIER

Chev

Nom et prénoms	BENKALFATE Mohammed
Date et lieu de naissance	I3 MARS I864 à Tlemcen
Situation ou fonction	Maître-ouvrier dinandier à l'école d'Indigènes de Tlemcen.
Domicile	Beauséjour (Tlemcen)
Nationalité (1)	Indigène Musulman sujet français
Services militaires	Néant
Services civils	Maître-ouvrier depuis Avril I906 = 30 ans
Situations diverses (2) (Professions, fonctions administratives, fonctions électives)	A participé en mars I936 au concours pour le meilleur ouvrier de France (4e exposition nationale du Travail -groupe des industries traditionnelles) L'objet d'art présenté - un lampadaire mauresque de cuivre ciselé - classé hors concours en Algérie - sera exposé à Paris à partir du I5 Juin I936.
Missions à l'étranger (2), dans les Colonies, etc.	"
Services rendus dans les établissements de bienfaisance, commissions, etc. (2)	"
Services rendus pour la diffusion de l'instruction française, le développement des centres de travail indigènes, la modernisation de l'outillage agricole, le maintien de la sécurité, etc., (2)	En I9IO, obtient un brevet pour perfectionnement apporté à la charrue arabe (brevet n° 4I5.277)
Distinctions honorifiques déjà obtenues (2)	Chevalier du Nichan Iftikhar I4 Juillet I900 Officier d'Académie I4 Juillet I90I.
Services extraordinaires rendus par le candidat (3)	.....

(1) Si le candidat a acquis la qualité de citoyen français, indiquer la date du décret de naturalisation.
(2) Indiquer la date de nomination à chaque grade, emploi, fonctions, etc., ainsi que le temps passé dans chaque situation.
(3) Accompagner d'un rapport donnant le détail de ces services, qui doivent avoir une valeur exceptionnelle et sortir du cadre ordinaire du devoir professionnel.

Communes n° 349 A. Ter. Indig
BLIDA. - IMP. ADM. A. MAUGUIN
1.000-8-30

وثيقة4 : توضح الامتيازات التي تحصل عليها الحرفي محمد بن قلفاط كبراءة الاختراع

صورة من أرشيف عائلة بن قلفاط ملتقطة من طرف حفيد الحرفي بن قلفاط ر.بن قلفاط

تميزت صناعة محمد بن قلفاط بالدقة العالية في التشكيل والزخرفة، مما جعل منتجاته تحفًا فنية تجمع بين الجمال والوظيفة. توجت مشاركاته وإنجازاته في عام 1937 عندما حصل على المرتبة الأولى في معرض الفنون المخصصة للأنديجان الجزائرية، الذي نظم تحت الرعاية السامية للحاكم العام بالتعاون مع المنطقة الاقتصادية بالجزائر.

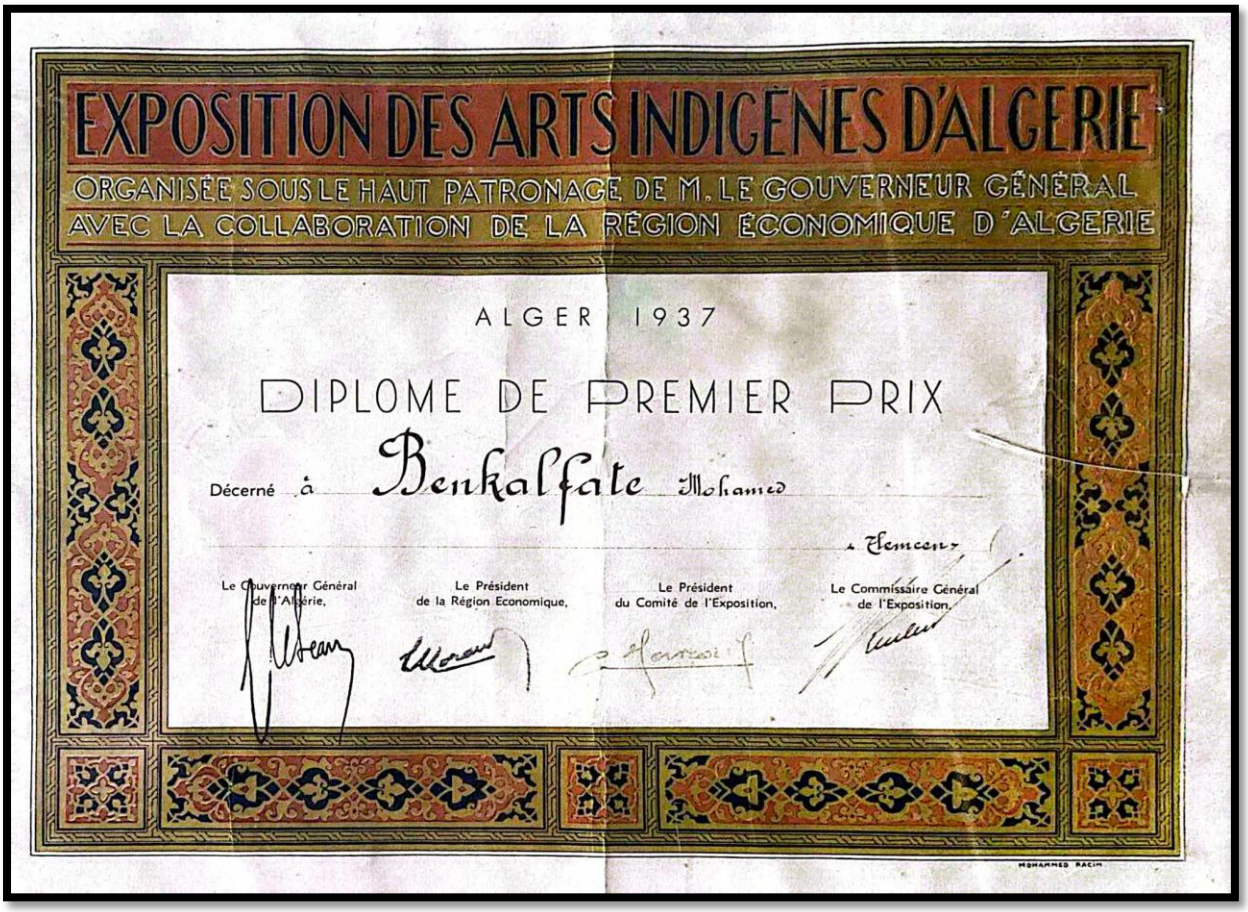

13) شهادة تحصل الحرفي محمد بن قلفاط على المرتبة الاولى في معرض الفنون المخصصة للأنديجان الجزائرية

صورة من أرشيف عائلة بن قلفاط ملتقطة من طرف حفيدة الحرفي و. بن قلفاط

كما حصل في 1 أكتوبر 1904 على الميدالية الذهبية في معرض DV NOFD في فرنسا،

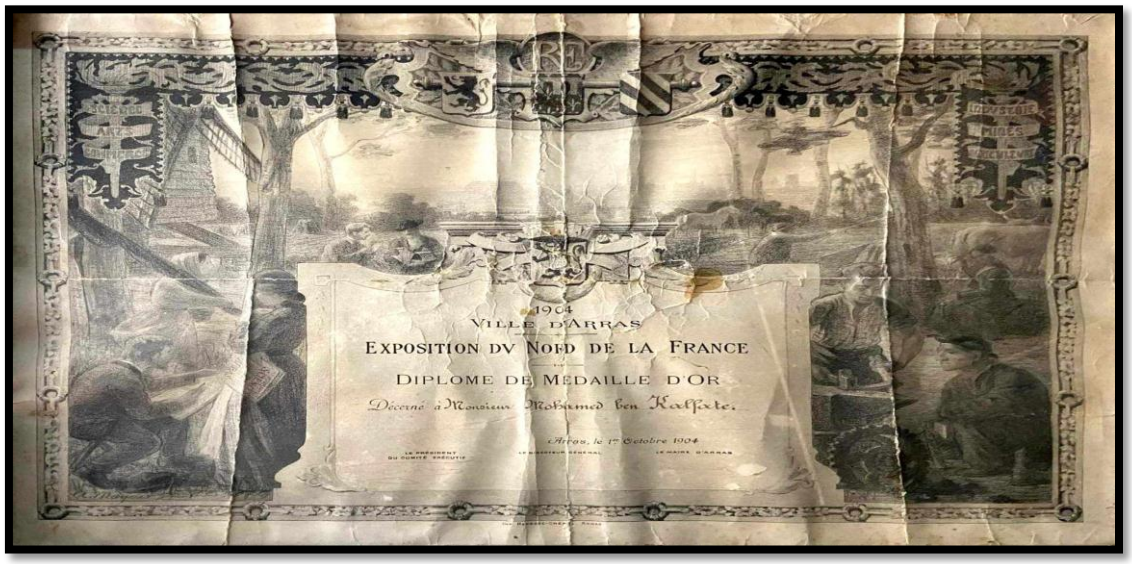

14)شهادة ذهبية تحصل الحرفي بن قلفاط على المدالية الذهبية

صورة من أرشيف عائلة بن قلفاط ملتقطة من طرف حفيدة الحرفي و. بن قلفاط

والميدالية الفضية في معرض العمل بالجزائر في سنة 1936.

15) شهادة تحصل الحرفي بن قلفاط على الميدالية الفضية

صورة من أرشيف عائلة بن قلفاط ملتقطة من طرف حفيدة الحرفي و. بن قلفاط

وفي 1 أبريل 1937، تم تكريمه بأكبر وسام في مسابقة وسام جوقة الشرف الوطني، تقديراً لإسهاماته الكبيرة وإبداعه الفائق في مجال الصناعة النحاسية .

ORDRE NATIONAL DE LA LÉGION D'HONNEUR

HONNEUR PATRIE

Le Grand Chancelier de l'Ordre National de la Légion d'Honneur

certifie que, par Décret du Deux Mars mil neuf cent trente sept

Le Président de la République Française

a conféré à M. Benkalfate Mohammed

Maître Ouvrier dinandier à l'école d'Industriel de Clemen

la Décoration de Chevalier de l'Ordre National de la Légion d'honneur.

Fait à Paris, le 15 Avril 1937.

Le Chef du 1er Bureau

16) شهادة تكريم الحرفي بن قلفاط بوسام جوقة الشرف.

صورة من أرشيف عائلة بن قلفاط ملتقطة من طرف حفيدة الحرفي و. بن قلفاط

لم يكتفِ محمد بن قلفاط بإنجازاته الشخصية فقط، بل حرص على تعليم هذا الفن وتوريثه للعديد من الحرفيين، بمن فيهم ابنيه عصمان وأيوب بن قلفاط، وتلميذه يبدري مختار. بفضل هؤلاء، استمرت صناعة الأواني والتحف النحاسية التقليدية، وأصبحت تلمسان مركزًا لهذه الحرفة المميزة. ساعد الفنان محمد بن قلفاط على التفوق في هذا الاختصاص توفر العديد من التحف النحاسية والأثرية في تلمسان، [1]حيث لم يكن يخلو بيت تلمساني من أوانٍ نحاسية تزين المنزل. إلى جانب ذلك، كان لتزيين المساجد بالفوانيس

[1] خالدي محمد، دور الفنان محمد بن قلفاط في ازدهار الصناعات النحاسية في مدينة تلمسان، مجلة منبر التراث الاثري، العدد 01، ص122

والثريات النحاسية دور كبير في انتشار هذه الحرفة. وبحسب ما رواه لنا الأجداد، كانت الأحياء أيضاً تزين بالإنارات النحاسية، مثل سوق القيصارية الذي كان يزين بالشمعدانات في فترة الثمانينات.

كما تخصص محمد بن قلفاط في صناعة الخزانات المقواة ذات الأقفال المشفرة التي تُستخدم لحفظ الممتلكات الثمينة، بما في ذلك المجوهرات والوثائق المهمة، وكان مختصًا في فتح هذه الأقفال بعد ضياع أرقام تشفيرها، مما أضاف بعدًا عمليًا إلى براعته الفنية.[1] محمد بن قلفاط لم يكن مجرد حرفي، بل كان فنانًا متخصصًا، استطاع من خلال تعليمه وتدريبه للعديد من الحرفيين أن ينقل هذا التراث الغني إلى الأجيال القادمة، مما خلد اسمه كأحد أعلام الصناعة التقليدية والنحاسية في المغرب العربي. أعماله الفنية الرائعة لا

تزال شاهدة على براعته وإسهاماته التي خلدت اسمه في تاريخ تلمسان.

17) صورة الحرفي محمد بن قلفاط مع بعض اعماله

[1] محادثة الكترونية على تطبيق Messenger يوم السبت 25 ماي 2024 على الساعة 12:59 مع حفيدة الحرفي محمد بن قلفاط السيدة و.بن قلفاط

صورة من أرشيف عائلة بن قلفاط ملتقطة من طرف حفيدة الحرفي و. بن قلفاط

المبحث الثاني: اعمال الفنان محمد بن قلفاط

المطلب الأول: نماذج من أشهر أعماله

يُعدّ محمد بن قلفاط من أبرز أعلام الصناعة النحاسية في مدينة تلمسان العريقة، حيث برز اسمه خالداً عبر الأزمنة بفضل إبداعاته الفريدة وإتقانه المبهر لهذه الحرفة. ومن بين إنجازاته التي تُخلّد ذكراه، إعادة تجديده لثريا الجامع الكبير بتلمسان، والتي تُعد تحفة فنية استثنائية تجسد عبقريته في هذا المجال.

فثريا الجامع الكبير من أروع الأعمال الفنية التي أبدعها الفنان محمد بن قلفاط، حيث تتلألأ في قلب المسجد مقابل المحراب كشمس تضيء المكان بجمالها الساحر. وقد تمّ إنجاز هذه الثريا عام 1933، لتُصبح شاهداً حياً على براعة بن قلفاط وإتقانه المبهر لصناعة النحاس.

لم يكتفِ بن قلفاط بتصميم ثريا جديدة، بل سعى إلى إعادة إحياء ثريا تاريخية عريقة صنعت في عهد الدولة العبدوادية بأمر من الملك يغمراسن بن زيان في القرن الثالث عشر. وتُجسّد بقايا هذه الثريا، المحفوظة اليوم في متحف تلمسان عبق التاريخ وروعة الإبداع في ذلك العصر.

تتكون ثريا الحرفي بن قلفاط من قاعدة خشبية دائرية يبلغ قطرها حوالي مترين، مغطاة بالنحاس المنقوش بدقة متناهية تُبهر الناظرين. وتتعالى فوق هذه القاعدة سبائك معدنية متصلة ببعضها في شكل مخروطي، تزين حوافها مصابيح للإنارة بألوان مختلفة تُضفي عليها رونقًا وبهاءً عند اشتعالها[1]، مما يُضفي على المكان أجواءً من السحر والجمال. ويبلغ عدد هذه المصابيح 345 مصباحًا، وهو عدد يرمز إلى أيام السنة الهجرية، ليدلّ على دقة تفكير بن قلفاط واهتمامه بأدق التفاصيل.

[1] خالدي محمد، دور الفنان محمد بن قلفاط في ازدهار الصناعات النحاسية في مدينة تلمسان، ص ص124 – 125

18) صورة ثريا الجامع الكبير التي صنعها الحرفي محمد بن قلفاط

تُعدّ ثريا الجامع الكبير بتلمسان خير دليل على إبداع محمد بن قلفاط وعبقريته في صناعة النحاس، حيث تُضفي هذه التحفة الفنية لمسةً جماليةً ساحرةً على المسجد، فهي تجمع بين الجمال والإتقان والرمزية وتعطي لمسة من الأناقة على المسجد، وتُساهم في خلق جو من الدفء والراحة للمصلين، وتُخلّد اسم بن قلفاط كأحد أبرز روّاد هذه الحرفة الأصيلة في مدينة تلمسان العريقة.

لم تقتصر شهرة أعمال الحرفي محمد بن قلفاط على ثريا الجامع الكبير في تلمسان فقط، بل امتدت لتشمل العديد من التحف الفنية الأخرى، من بينها تلبيس باب جامع سيدي أبي مدين بالعباد في تلمسان. في عام 1895 كُلّف بن قلفاط بإجراء أعمال التجديد على الباب القديم والشهير لهذا المسجد. يتكون باب جامع سيدي أبي مدين من خشب سميك وثقيل الوزن، مصمّم من مصراعين بارتفاع أربعة أمتار وأربعة وخمسين سنتمتراً، وعرض ثلاثة أمتار وستة وعشرين سنتمتراً. قام بن قلفاط بتلبيس هذا الباب بالنحاس المنقوش، مما أضفى عليه جمالاً ودقة في التفاصيل[1].

تتزين زخرفة الباب بأشكال هندسية متنوعة، بما في ذلك المعينات والنجوم والأشكال الدائرية، وتتراوح أضلاعها من 12 إلى 32 سنتمتراً. ومن الجدير بالذكر تكرار الأشكال السداسية الأضلاع في الزخرفة.

[1] خالدي محمد، دور الفنان محمد بن قلفاط في ازدهار الصناعات النحاسية في مدينة تلمسان، ص 125

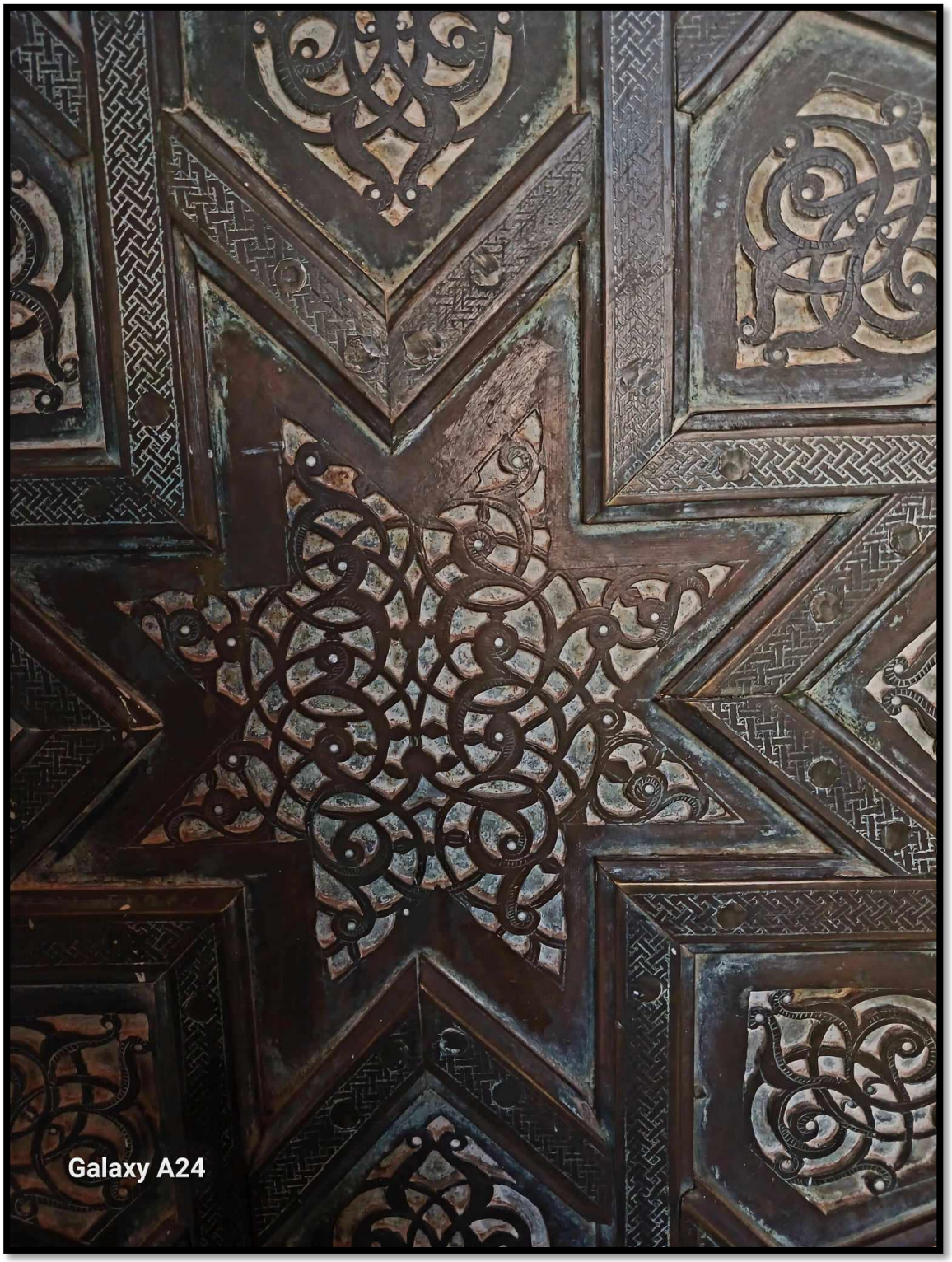

19) زخرفة باب مسجد أبي مدين بأشكال هندسية (نجوم).

صورة ملتقطة من طرف الطالبة

كما يحتوي الباب على مقرعتين دائريتين، كل واحدة منهما قطرها حوالي 25 سنتمتراً.

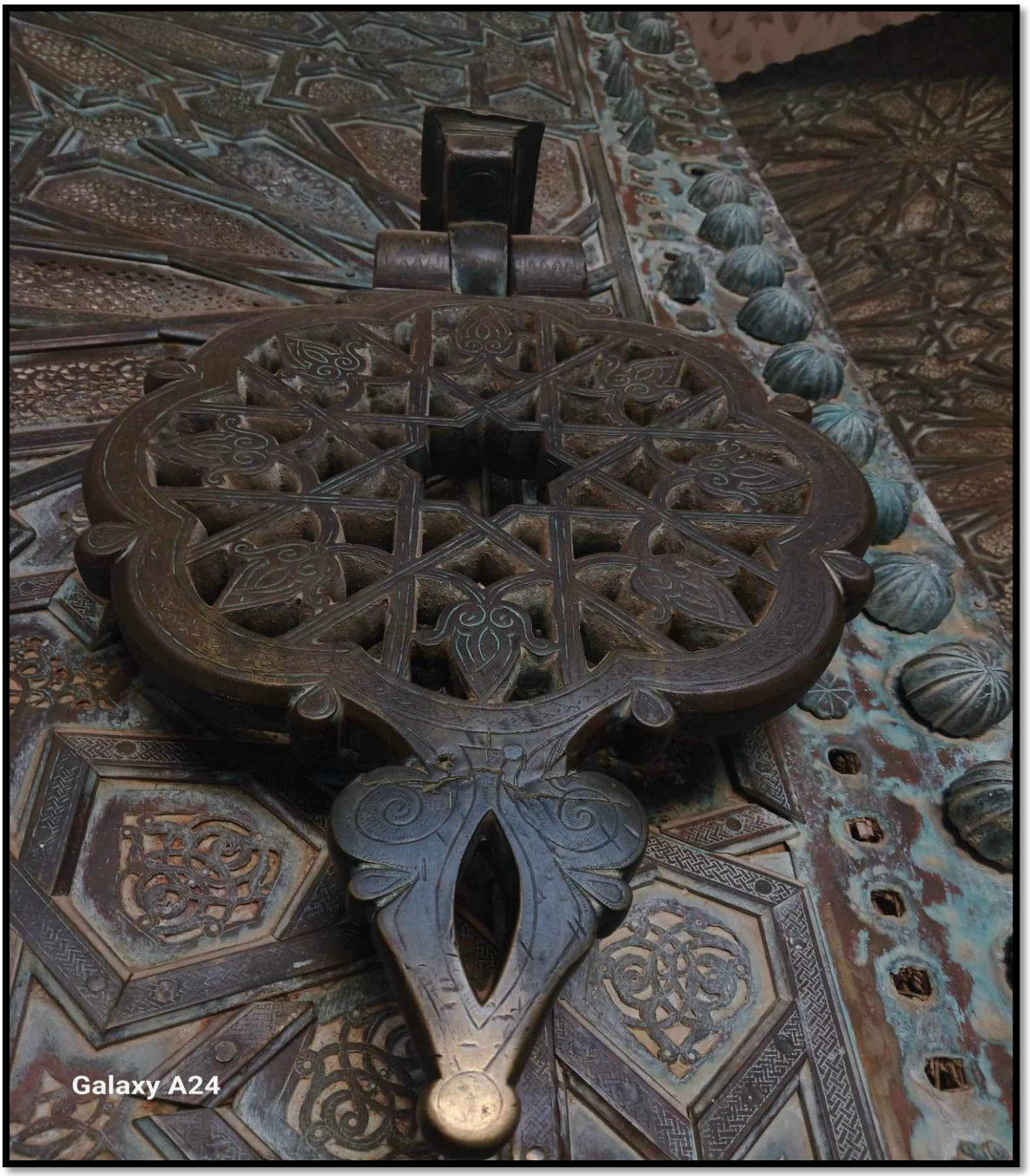

20) مقرعة أو طبطابة باب مسجد أبي مدين

صورة ملتقطة من طرف الطالبة

هناك أسطورة تروي أن هذا الباب صُنع في الأندلس ووصل إلى تلمسان عبر البحر خلال فرار المسلمين من بطش الإسبان، حيث رمت به الأمواج على سواحل تلمسان. ومع ذلك، تبقى هذه القصة غير مدعومة بأدلة تاريخية موثوقة، ومن المرجح أن الباب صُنع في تلمسان بتأثير من الصناعة الأندلسية.

لقد تأثر هذا الباب بمرور السنين والعوامل الطبيعية مثل الأكسدة والتآكل، مما استدعى تجديده فبفضل جهود محمد بن قلفاط استعاد الباب بريقه الأصلي وأصبح مثالاً رائعاً على البراعة في الحرف اليدوية التقليدية. إن عمل بن قلفاط على هذا الباب، بالإضافة إلى إنجازاته الأخرى، يعكس بوضوح تفوقه وإبداعه في مجال الصناعات النحاسية، ويجعل من تلمسان مركزاً للتراث الفني والحرفي في المغرب العربي.[1]

[1] [1] خالدي محمد، دور الفنان محمد بن قلفاط في ازدهار الصناعات النحاسية في مدينة تلمسان، ص124 – 125 بتصرف

المطلب الثاني: قراءة تحليلية فنية لبعض أعماله

21 صورة بريمة من النحاس الاصفر صنع الحرفي محمد بن قلفاط

صورة ملقطة من طرف حفيد الحرفي محمد بن قلفاط وتعديل الطالبة

22) بريمة من صنع الحرفي بن قلفاط محمد

صورة ملقطة من طرف حفيد الحرفي محمد بن قلفاط و تعديل الطالبة

قراءة تحليلية فنية "للبريمة":

تعتبر التحفة التي أمامنا مثالاً رائعاً لقراءته وتحليله، فهي تمثل جزءاً من التراث الثقافي الجزائري بشكل عام والتلمساني بشكل خاص، حيث تجمع بين الجمالية الفنية والوظيفة العملية. هذه البريمة النحاسية التي صنعها الحرفي التلمساني الشهير محمد بن قلفاط تعد واحدة من التحف الفنية البارزة التي تبرز البراعة والمهارة اليدوية التي تميزت بها مدينة تلمسان عبر العصور.

محمد بن قلفاط المعروف بإبداعه ودقته في صناعة النحاس قدم مساهمات كبيرة في إثراء التراث الفني الجزائري. ولدت أعماله من مزيج رائع بين الفن والعملية، مما جعلها تحفًا فنية تبرز جمال النقوش والزخارف وتخدم في الوقت ذاته أغراضًا وظيفية. تعكس هذه القطعة الفنية التزامه العميق بالحرفية التقليدية وتظهر في تفاصيلها المعقدة أسلوبه الفريد ورؤيته الفنية.

فمن خلال قراءتنا التحليلية سنلقي نظرة عامة على البريمة، مسلطين الضوء على المواد المستخدمة في صنعها، والتقنيات الفنية المبتكرة التي وظفها محمد بن قلفاط في نقش الزخارف. سنستكشف أيضًا الدلالات الرمزية والثقافية لهذه النقوش وما تعبر عنه من قصص وتراث تلمساني عريق. فمن خلال هذا التحليل نهدف إلى تقدير قيمة هذه التحفة الفنية وفهم أبعادها الجمالية والثقافية بشكل أعمق.

المواد:

صنعت البريمة من النحاس الأصفر، وهو مادة تقليدية شائعة الاستعمال في الحرف اليدوية الجزائرية. يعتبر النحاس الأصفر معدنًا معروفًا بمتانته ومقاومته للتآكل، مما يجعله خيارًا مثاليًا لمثل هذه التحف. قد يكون تم استخدام القصدير في طلاء الجزء الداخلي من البريمة لمنع تفاعل النحاس مع الماء، مما يعزز من وظيفتها العملية ويطيل عمرها.

الشكل والتصميم:

التحفة عبارة عن دلو تتخذ شكلاً دائريًا مع قاع واسع يضيق قليلاً نحو الأعلى، مما يجعلها عملية وسهلة الاستخدام سواء كان لغرض الزينة أو كأداة وظيفية. الحافة العلوية تبدو سميكة ومزودة بمقبضين معدنيين، مما يشير إلى إمكانية حملها أو تعليقها. هذا التصميم العملي يعكس فهم الحرفي للحاجة إلى دمج الجمالية مع الوظيفة في تحفه الفنية.

اللون:

اللون الذهبي اللامع للنحاس الأصفر يضفي على التحفة جمالية ورونقًا خاصًا. هذا اللون يعزز من إبراز النقوش والتفاصيل الفنية ويضفي إحساسًا بالفخامة والأصالة. يُظهر التألق الذهبي للنحاس الأصفر بريقًا يجذب الأنظار مما يجعل التحفة محط اهتمام وتقدير من قبل محبي الفنون والحرف اليدوية.

النقوش والزخارف:

تتزين البريمة بنقوش وزخارف نباتية وهندسية متداخلة تمتد على سطحها لتضفي عليها حيوية وديناميكية فريدة من خلال تكرارها وتناظرها البديع. تتنوع هذه النقوش بين الأشكال البارزة التي تتألق على سطح البريمة، والغائرة التي تتجسد على المقبض، مما يضيف بعدًا ملموسًا للتصميم ويعكس الضوء بطرق مختلفة تعزز التفاصيل الدقيقة.

تبرز الزخارف النباتية على هذه البريمة بشكل رئيسي، حيث تتضمن تصاميم زهرية وأوراق محورة تتداخل بانسجام تام. تتشابك سيقان الأزهار لتشكل أشكالًا هندسية متقنة تتجسد في دوائر وأنصاف دوائر، مع وجود براعم صغيرة تتوزع تحت الأزهار. تتكرر هذه الزخارف بشكل منتظم على سطح البريمة، مما يخلق نمطًا جميلاً ومتناسقًا من الأوراق والأزهار المتناظرة[1].

[1]تحليل الطالبة

تمثل هذه النقوش مثالًا ممتازًا على الزخارف النباتية التي كانت شائعة في الفنون الإسلامية، حيث التزم الحرفي محمد بن قلفاط بروح مدينته الإسلامية من خلال تطبيق هذه الزخارف النباتية، والتي تهدف إلى تجسيد الجمال الطبيعي دون اللجوء إلى تصوير الكائنات الحية. يعكس هذا التوجه التزامه بالمبادئ الإسلامية التي تشجع على تجنب تصوير الكائنات البشرية والحيوانية مما يظهر احترامه العميق للتقاليد والثقافة الإسلامية في أعماله الفنية.

التقنيات:

تُبرز النقوش والزخارف النباتية والهندسية التي تزين البريمة البراعة الفائقة للحرفي التلمساني محمد بن قلفاط في استخدام تقنيات متقدمة ومبتكرة في صناعة النحاس. تم تنفيذ هذه الزخارف بتقنية الطرق من الداخل، مما يجعل النقوش بارزة على السطح الخارجي ويمنح البريمة أبعادًا ثلاثية مميزة تضفي عليها حيوية وديناميكية فريدة. من اللافت أن بن قلفاط قد سبق زمانه باستخدام هذه التقنية، التي تعتبر متطورة حتى بمعايير اليوم.

اشتهر محمد بن قلفاط بطريقة تقليدية فريدة في النقش على النحاس، تعتمد على استخدام إزميل واحد حاد القاعدة، ويعتمد بشكل كامل على عملية النجر. تكمن براعته في قدرته على إضفاء صورة فنية على التحفة من خلال هذه العملية المعقدة. يعتمد الحرفي على مرونة يديه، حيث تستخدم واحدة منها المطرقة لضرب الإزميل، بينما تمسك الأخرى بالإزميل بزاوية مائلة وتتحرك بانسيابية وحيوية. هذه العملية تتم بانسجام تام ودقة متناهية، مما ينتج عنه زخارف فنية مدهشة تعكس إبداع الحرفي[1].

من خلال هذه التقنية، يُحوِّل محمد بن قلفاط الصفائح النحاسية إلى لوحات فنية نابضة بالحياة. تظهر الزخارف النباتية والهندسية كأنها تنبض بروح الحرفي، وكأنما يريد أن يعبر عن مخيلته ويعكس ما يدور

[1] [1] خالدي محمد، دور الفنان محمد بن قلفاط في ازدهار الصناعات النحاسية في مدينة تلمسان، ص124 – 125 بتصرف

في داخله من أفكار وإبداعات. كل نقش وزخرفة تتضمن العديد من القراءات والدلالات، ما يضفي على البريمة عمقًا ثقافيًا وفنيًا يتجاوز حدود الزمان والمكان. هذه التحفة الفنية ليست مجرد أداة عملية، بل هي أيضًا تعبير عن هوية ثقافية وتاريخية غنية.

الوظيفة:

تُستخدم هذه البريمة منذ القدم في الحمامات لأغراض متعددة، حيث تُعتبر وسيلة لتخزين مستلزمات الاستحمام مثل الطاسات والأمشاط والأعشاب والورود التي تستخدمها النساء بشكل عام والعرائس بشكل خاص. إضافةً إلى ذلك يمكن استخدام البريمة كدلو لملء الماء في الحمام مما يزيد من وظيفتها العملية ويُظهر براعة تصميمها لتلبية الاحتياجات اليومية.

فمن عادات الجزائريات وخاصة نساء تلمسان أن تحتفظ كل فتاة مقبلة على الزواج ببريمة خاصة بها تُحفظ ضمن جهازها لتستخدمها في أول حمام لها بعد الزواج.

وتعكس هذه العادة جزءًا من التقاليد المتوارثة، حيث تهدي الجدة البريمة لحفيدتها بمناسبة دخولها الأول إلى الحمام، مُلقِّنةً إياها بذلك تقاليد النساء وعادات المجتمع التلمساني.[1] تجسد هذه الهدية رمزًا للانتقال بين الأجيال، حيث تُنقل من خلالها معاني التراث والأصالة، مُعززةً الروابط العائلية والاجتماعية بين الأجيال المختلفة .

الدلالات الرمزية والثقافية:

تتجاوز هذه الزخارف مجرد الزينة البصرية لتغوص في أعماق الدلالات الرمزية والثقافية، فهي وسيلة تعبير عن الهوية والمعتقدات التي ينتمي إليها الحرفي محمد بن قلفاط ومجتمعه. فهذه التحفة وما تحمله من

[1] الحياة اليومية في تلمسان ، ص 74

نقوش بمثابة مرآة عاكسة للفلسفة الجمالية والمعتقدات الدينية السائدة في المجتمع الجزائري عامة والتلمساني خاصة. فمن خلال تحليل هذه النقوش والزخارف يمكننا الفهم بشكل أعمق للتراث الفني والثقافي الذي تحمله هذه التحف وكيفية ارتباطها بحياة الناس وممارساتهم اليومية.

في كل تفصيلة من تفاصيل البريمة نجد في طياتها حكايات ورموز تمتد جذورها إلى عمق الثقافة الإسلامية والمحلية حيث يجتمع الجمال الطبيعي والهندسي ليشكلا لوحة فنية نابضة بالحياة والدلالة. تُظهر هذه الزخارف النباتية والهندسية من خلال تكرارها وتناظرها عمق التقاليد الفنية الإسلامية التي تمزج بين الطبيعة والهندسة لتخلق أنماطًا متناغمة تعبر عن النظام والتناغم الكوني.

تشابك سيقان الأزهار وإلتواء جذورها على بعضها البعض يوحي بالترابط والتمسك بالأصول، مُعبرًا عن الحفاظ على العادات والتقاليد التي تشكل الهوية والتراث الثقافي. يُبرز هذا التشابك مدى عراقة هذه الحرفة وأصالتها.

وجود البراعم الصغيرة تحت الأزهار الكبيرة وارتباطها بالجذور يعكس التواصل بين الأجيال والاستمرارية لهذه الحرفة العريقة كما أشرنا سابقًا فإن هذه الحرفة مثل غيرها من الصناعات اليدوية في الجزائر تتميز بطابعها العائلي وتنتقل من جيل إلى آخر مما يضمن بقاءها وتطورها عبر الزمن.[1]

[1] تحليل الطالبة

ملخص الفصل

تُعد مدينة تلمسان الجزائرية مثالاً حيّاً على التراث العريق والحضارة العميقة، حيث تزخر بأزقتها وشوارعها بالحرف والصناعات التقليدية التي تُعكس هوية المدينة وتاريخها. ومن بين هذه الحرف، تبرز صناعة النحاس كإحدى أهم وأقدم الحرف التي اشتهرت بها تلمسان، والتي تركت بصمة مميزة على تراثها الثقافي والحضاري.

تُعتبر ورشات النحاس في تلمسان شاهداً حياً على إبداع الحرفيين ومهاراتهم المتوارثة عبر الأجيال. ففي حي الصفارين، قلب النشاط الحرفي والصناعي في المدينة، كان الحرفيون يمارسون فنونهم بإتقان وإبداع، ينقشون على الأواني والتحف النحاسية نقوشاً بديعة تُجسد روح تلمسان الأصيلة.

كان لِهذه الحرفة دور هام في النسيج الاجتماعي والثقافي للمدينة، حيث كانت تُشكل مصدر رزق للعديد من العائلات، وتُعزز الترابط والتواصل بين أفراد المجتمع .وحرصاً على الحفاظ على هذه الحرفة، حرص الحرفيون على نقل مهاراتهم ومعارفهم إلى الأجيال القادمة، ضماناً لاستمراريتها وحمايةً من الاندثار.

من بين رواد صناعة النحاس في تلمسان، برز اسم الحرفي المبدع "محمد بن قلفاط" الذي ساهم بشكل كبير في إحياء وتطوير هذه الصناعة .فقد تميز بأسلوبه المتفرد في النقوش، والتي زين بها العديد من المعالم في تلمسان، مثل ثريا الجامع الكبير وباب مسجد سيدي بومدين شعيب الغوث.

لم يكتفِ "محمد بن قلفاط" بإبداعاته الفنية، بل حرص على تعليم هذه الحرفة للعديد من الحرفيين، ونقل مهاراته ومعارفه للأجيال القادمة .وبفضل جهوده، استمرت صناعة الأواني والتحف النحاسية التقليدية في تلمسان، وحافظت على مكانتها المرموقة بين الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر.

خاتمة

في ختام هذه المذكرة، نكون قد تناولنا موضوع حرفة النقش على النحاس وخصائصها الفنية من مختلف جوانبها. لقد قمنا بدراسة تاريخ هذه الحرفة في الجزائر وتحليل الخصائص الفنية لمدرسة تلمسان للنقش على النحاس من خلال قراءة أعمال الحرفي محمد بن قلفاط والتعمق في تقنياته الفريدة التي جعلت منه علماً من أعلام صناعة النحاس في الجزائر. لقد أظهرت هذه الدراسة مكانة تلمسان كمدرسة ذات وزن في فن النقش على النحاس على الصعيد المغاربي.

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على حرفة النقش على النحاس والمراحل التي تمر بها، بالإضافة إلى توثيق تاريخ وأصول فن النحاس في الجزائر، والكشف عن أصوله وتطوراته عبر العصور. كما سعت إلى تعزيز الوعي بعراقة فن النحاس في الجزائر، وإبراز دوره في تعزيز الهوية الوطنية والثقافية. نسعى من خلال هذا البحث إلى إحياء حرفة النحاس في الجزائر وتعزيزها، بتشجيع الشباب على تعلم هذه الحرفة التقليدية وتطويرها للحفاظ عليها.

خلال البحث، توصلنا إلى مجموعة من النتائج، من أهمها أن المجتمع الجزائري، وخاصة التلمساني، قد فرط في كنز ثمين وجزء من هويته. تُعد هذه الحرفة تراثاً عريقاً له أصوله وإذا أُهمل فقدنا جزءاً من روحنا. أظهرت دراستنا الميدانية أن المواطن الجزائري يواكب موجة العصرنة، مفضلاً كل ما هو حديث ورائج في الأسواق ووسائل التواصل الاجتماعي، مهملًا بذلك كل ما هو تقليدي.

تبين لنا خلال بحثنا في مدينة تلمسان عن مقر تواجد ممارسي هذه الحرفة أن المهمة تحولت إلى أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش نظراً لندرة الحرفيين في هذه الصنعة. جل الحرفيين قد تركوا هذه الصنعة وغيروا مهنهم لعدة أسباب، منها صعوبة الحصول على المواد الخام، وإن وُجدت، تكون بأسعار باهظة. أدى ذلك إلى ارتفاع أسعار القطع النحاسية في السوق، مما قلل من إقبال الناس على المنتوجات النحاسية. يفضل المواطن المنتجات الرخيصة التي تتماشى مع دخل عامة الشعب الجزائري. من جهة أخرى، ظهرت منتجات صناعية تقلد هذا الفن، فلجأ بعض الحرفيين إلى هذا الخيار الأسهل والأرخص، مستخدمين

تقنيات معاصرة تتمثل في آلات طابعة لنقوش وزخارف على سطح صفائح معدنية مقلدة للنحاس ومطلية بطلاء ذهبي لتبدو كأنها قطع أصلية. إن الحفاظ على هذه الحرفة وغيرها من الصنائع التقليدية مسؤولية مشتركة، وعلينا جميعاً أن نتضامن ونعمل معاً لإحياء هذه الحرفة وإعادة الحياة إلى الأحياء القديمة حيث يمكننا سماع صخب المطارق وتهافت الناس على كل ما هو تقليدي. نأمل أن تعود الجزائر القديمة بعاداتها وتقاليدها، وخاصة في المناسبات والأفراح التي تجمع كل ما هو تقليدي من أواني نحاسية كالسينية...، وألبسة تقليدية كالشدة والبلوزة، وأغاني ورقصات شعبية كالعلاوي، وآلات موسيقية كالغايطة، وأطباق تقليدية كالرشتة والكسكس ورفيس، وأمثال شعبية مليئة بالحكمة والعبر.

تراثنا غني ويستحق الاعتزاز والترويج له. في هذا الصدد، نثمن جهود الدولة الجزائرية في الرفع من قيمة التراث الجزائري والتعريف به وتوثيقه. فقد تم مؤخراً إدراج حرفة النقش على المعادن من فضة وذهب ونحاس ضمن التراث العالمي غير المادي لليونسكو باسم الجزائر، وهو اعتراف دولي بقيمة هذا الفن العريق.

من خلال هذه المذكرة، نوجه نداءً حاراً إلى سلطاتنا المحلية للاضطلاع بدورها في رعاية تراثنا العريق وحمايته من براثن النسيان. ونخصّ بالذكر صناعة النحاس، تلك الحرفة التي تُجسّد إبداع أجدادنا ومهاراتهم الفائقة، والتي تُزين بيوتنا وتُضفي عليها رونقًا خاصًا.

ندعو سلطاتنا إلى دعم البحوث التي تُعنى بدراسة هذه الصناعة وتاريخها، وفكّ رموزها، واكتشاف أسرارها .فهذه البحوث ستُسهم في إماطة اللثام عن كنوزٍ ثقافيةٍ لا تقدر بثمن، وتُثري معرفتنا بحضارة أمتنا العريقة.

ونقترح أيضاً على سلطاتنا على المستوى العالي ضرورة جمع التحف الفنية النحاسية وغير النحاسية من ملاكها، سواءً كانوا أفرادًا أو عائلات .وذلك من خلال شرائها منهم بأسعار عادلة، وعرضها في متاحفنا الوطنية، لتصبح متاحةً للباحثين والدارسين، الذين سيُساهمون بدورهم في كشف أسرارها وفهم دلالاتها.

إنّ هذه الخطوة ستُساهم في:

- الحفاظ على تراثنا المادي من الضياع :فمن خلال جمع هذه التحف وحفظها في متاحفنا، نضمن بقاءها للأجيال القادمة، ونُتيح لهم فرصة التعرف على إبداع أجدادهم وفنونهم.
- دعم البحث العلمي :ستُشكل هذه التحف مصدرًا غنيًا للباحثين، الذين سيُساهمون بدراستها في فهم حضارتنا بشكلٍ أفضل واكتشاف المزيد عن تقنيات صناعة النحاس في مختلف العصور.
- تنشيط السياحة الثقافية :ستُصبح متاحفنا أكثر جاذبيةً للسياح، ممّا سيُساهم في تنشيط السياحة الثقافية في بلادنا.

إنّ مسؤولية الحفاظ على تراثنا تقع على عاتقنا جميعًا :أفرادًا ومجتمعات وحكومات .فلنعمل معًا للحفاظ على هذه الكنوز الثمينة، ولنُورّثها للأجيال القادمة مصدر فخرٍ واعتزاز.

في النهاية، نأمل أن تكون هذه المذكرة قد ساهمت في إثراء المعرفة في مجال الفنون التطبيقية وبالخصوص الحرف اليدوية كالنقش على النحاس، وأن تكون مرجعاً مفيداً للباحثين والمهتمين بهذا المجال. ونقترح على الباحثين المستقبليين متابعة هذا الموضوع، لأنه يحتاج إلى دراسات أكثر. نؤكد أن هذا البحث ليس سوى خطوة صغيرة في طريق طويل من الاكتشاف والمعرفة. نسأل الله أن يوفقنا وإياكم في مساعينا العلمية، وأن تكون هذه المذكرة حافزاً لمزيد من الدراسات والأبحاث التي تسهم في صون وإحياء تراثنا الثقافي والفني.

قائمة المصادر

المصادر :

القرآن الكريم: سورة الرحمن الآية 35برواية ورش عن نافع

1. ابن منظور، معجم لسان العرب، ج6،ج5،ج14 د ط، دب، دس .
2. احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة
3. حسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي 1983،

المراجع :

4. شريفة طيان ساحد، نحاسيات تلمسان في العهد العثماني، (القرنان 12-13هـ / 18-19 م)، اعمال ملتقى دولي بتلمسان أيام 5.4.3 أكتوبر 2011، بعنوان: تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، الجزء الثاني، المحور الرابع:
5. شريفة طيان ساحد، نحاسيات تلمسان في العهد العثماني، (القرنان 13-12 هـ / 19-18 م)، النحاس «بين الفن والتقاليد «الحياة اليومية في تلمسان la vie quotidinne a tlemcen، معرض منظم في ايطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، وزارة الثقافة والفنون
6. الصناعات والحرف، من خلال مجموعة المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية -الجزائر-، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص5-6، (بتصرف)
7. محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة، دراسة جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (بتصرف)
8. محمد بكير مصطفى، فن صناعة المعادن، مكتبة وفاء القانونية، الطبعة الأولى 2014
9. محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
10. النحاس «بين الفن والتقاليد «الحياة اليومية في تلمسان la vie quotidinne à tlemcen،

مذكرات و الرسائل الجامعية :

11. بن عمار محمد، حرفة النقش على الخشب في تلمسان، (دراسة تاريخية وفنية)، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم الثقافة الشعبية شعبة الحرف والصناعات التقليدية، صفحة " د".

12. رزقي نبيلة ، الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط و الأندلس (القرن 8/7هـ-14/13م)-دراسة تحليلية مقارنة-رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم علم الأثار ،كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية ، 2015/2014 ، (بتصرف)

13. طرشي أحلام صابرينة، صناعة النحاس بقسنطينة (دراسة فنية)، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ وعلوم الاثار، 2011 /2012،

14. فورار هشام، السمات الجمالية لفن الزخرفة على الجبس في بهو كلية الآداب بجامعة تلمسان، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب واللغات قسم الفنون، 2018/2017،

الموسوعات و المجلات :

15. احمد الأحمد، النقش على المعادن، الموسوعة العربية Arab Encyclopedia، المجلد العشرون، رقم الصفحة ضمن المجلد 835، الرابط: https://arab-ency.com.sy/ency/details/11231/20

16. بوحسون العربي، الحرف والصناعات التقليدية في مدينة تلمسان "مقاربة تاريخية وأنثروبولوجية واقتصادية "، دورية كان التاريخية (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تلمسان)، العدد الخامس والثلاثون (مارس 2017)، د م ج، علمية. عامية. محكمة. ربع سنوية،

17. بوطيش سمير، الصناعات الجزائرية في العهد العثماني، مجلة القرطاس، معهد علم الاثار جامعة الجزائر 2، العدد 4 / جانفي 2017، (بتصرف).

18. خالدي محمد، دور الفنان محمد بن قلفاط في ازدهار الصناعات النحاسية في مدينة تلمسان، مجلة منبر التراث الاثري، العدد 01،

19. قاسي فاطمة الزهراء، صناعة النحاس التقليدي في الجزائر حرفة بين تحديات البقاء والمساهمة في التنمية، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة والمالية، العدد03، المجلد 06، سنة2017 ،

20. لخضر العربي، الحرف وتنظيماتها في مدينة تلمسان الزيانية، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، د م ج، العدد الرابع، جوان 2013، منشورات جامعة معسكر، الرشاد للطباعة والنشر/سيدي بلعباس/الجزائر،

21. م. حميان، عبد الصمد، تحليل وتشخيص لموارد النحاس الاثرية Analysis and characterization of Archeological Copper Materials، دراسات في اثار الوطن العربي20

22. محمد خالدي، لغة النقش على المصنوعات النحاسية دراسة لغوية وصفية، الأثر مجلة الادب واللغات جامعة قاصدي مرباح–ورقلة–الجزائر، العدد الثامن، ماي ،2009،

23. محمد لهوازي، رحلة صنايعية النحاس في الجزائر من الحفر الى الاندثار، مجلة عربية INDEPENDENT، د م ج ، الجمعة 08 ديسمبر2023 الرابط:
https://www.independentarabia.com/node/525456

المقابلات الشخصية و المحادثات الإلكترونية :

24. محادثة الكترونية على تطبيق Messenger يوم السبت 25ماي 2024 على الساعة 10:54 – مع حفيدة الحرفي محمد بن قلفاط السيدة و.بن قلفاط

25. مقابلة يوم 8 ماي 2024 ، الساعة 10:55 ، في ورشة الحرفي بغرفة الصناعة التقليدية و الحرف الحي الإداري بوهناق منصورة تلمسان ، مع الحرفي "دالي علي إسماعيل" .

26. مقابلة مع "دالي علي إسماعيل"، نفس اليوم ،الساعة 11:20، نفس المكان .

27. مقابلة مع الحرفي "دالي علي إسماعيل"، نفس اليوم، الساعة 12:00، نفس المكان

28. مقابلة مع الحرفي "دالي علي إسماعيل"، نفس اليوم، الساعة 12:10، نفس المكان .

المصادر و المراجع باللغة الأجنبية :

29. Terence Bell, learn about copper (what is copper), thoughtco, august 21 ,2020, https://www.thoughtco.com/metal-profile-copper-2340132

المواقع الإلكترونية :

30. https://en.wikipedia.org/wiki/Copper
31. https://journals.openedition.org/cy/2825?lang=en
32. https://www.youtube.com/watch?v=Gzk5uOL7Lu8&t=56s
33. **https://www.marefa.org/%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A9_%D9%82%D8%B3%D9%86%D8%B7%D9%8A%D9%86%D8%A9**
34. https://www.urtrips.com/where-is constantine /
35. https://www.el-massa.com/dz
36. https://www.mta.gov.dz/الصناعة-التقليدية-الجزائرية/#el-970dee8a
37. وزارة السياحة و الصناعة التقليدية " ، الصناعة الجزائرية التقليدية – النحاس – ،الرابط :
https://www.mta.gov.dz الصناعة-التقليدية-الجزائرية/#el-970dee8a
38. " تعرفوا على حرفة النحاس المنتشرة عبر أزقة القصبة في العاصمة"، روبورتاج مصطفى تادريست من قناة الشروق، الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=Gzk5uOL7Lu8&t=56s

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفهرس	الصفحة
بسملة	
شكر و عرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: فنون النقش وحوامله	5
مبحث 1 : النقش وأنواعه	6
تعريف النقش	6
أنواع النقش	8
المبحث الثاني: النحاس كمادة خام	11
تعريف النحاس	11
كيفية استخراجه ومراحل اعداده للحرف والصنائع	14
الفصل الثاني: النقش على النحاس	16
المبحث الأول: النقش على النحاس في الجزائر	18
اصوله بالجزائر	18
مراكز النقش على النحاس في الجزائر	20
المبحث الثاني: النقش على النحاس في تلمسان	30
تاريخ مدرسة تلمسان في النقش على النحاس	30
الخصائص الفنية لمدرسة تلمسان	33
الفصل الثالث: رواد فن النقش على النحاس بتلمسان	37
المبحث الأول: مجتمع صناعة النحاس بتلمسان	37
ورشات النحاس بتلمسان	38
سيرة محمد بن قلفاط أحد رواد هذه الصنعة	38
المبحث الثاني: أعمال الفنان محمد بن قلفاط	48
نماذج من أشهر أعماله	55

فهرس الموضوعات

قراءة تحليلية فنية لبعض أعماله	61
الخاتمة	69
قائمة المصادر والمراجع	73
الفهرس	79

ملخص

تُعَدّ الجزائر بلداً عريقاً وغنياً بتاريخها وثقافتها، وقد كانت موطناً للعديد من الحضارات التي أثّرت على فنونها وحرفها، منها حرفة النقش على النحاس. شهد هذا الفن تطوراً وتنوعاً بتنوع مدن الجزائر، حيث نشأت مدارس متخصصة في كل مدينة، تتميز كل منها بخصائصها الفنية الفريدة. من أبرز هذه المدارس، مدرسة مدينة تلمسان التي تميزت بتفردها في صناعة القطع النحاسية بفضل حرفييها المهرة. كان للحرفي محمد بن قلفاط دور بارز في جعل تلمسان مركزاً لهذا الفن، حيث لا يزال تأثيره مستمراً في تراث المدينة حتى اليوم.

الكلمات المفتاحية: التراث الثقافي، تلمسان، النقش على النحاس، محمد بن قلفاط، الخصائص الفنية، الحرف التقليدية .

summary

Algeria is an ancient country with a rich history and culture. It has been a home to many civilizations that have significantly influenced its arts and crafts, notably copper engraving. This form of art has evolved and diversified across various Algerian cities, each developing specialized schools that are characterized by unique artistic styles. The Tlemcen City School stands out for its distinctive approach to copper engraving, largely due to the expertise of its craftsmen. Among them, Mohammed ben Kalfat who played a crucial role in establishing Tlemcen as a center for this art, with his legacy continuing to shape the city's cultural heritage today.

Keywords: cultural heritage, Tlemcen, copper engraving, Mohammed ben kalfat, artistic characteristics, traditional crafts.